الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
سلسلة إحياء التراث
(٦/٦)

المتون العلمية
وأثرها في التربية

رسالة قُدمت للأزهر الشريف سنة
(١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م)



تأليف
عبد الرحمن محمد صالح

الطبعة الأولى
٢٠٢٥م

الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية

إن مجمع البحوث الإسلامية هو أحد الهيئات العلمية للأزهر الشريف يقوم على تحقيق كل ما يخدم المصلحة العامة للمسلمين، ويجمع كلمتهم، ويعمل على تحقيق الأمن والاستقرار، والتعايش السلمي، كما يعمل المجمع على تحقيق رسالة الأزهر في توعية الناس وتبصيرهم بحقائق هذا الدين، وتصحيح المفاهيم المغلوطة، وبيان سماحة ووسطية الإسلام، وأهمية فهم النصوص الشرعية مع فهم الواقع.

ومن هنا تأتي رؤية المجمع في اعتنائه بقضايا المجتمع الإسلامي؛ لجمع الكلمة بين المسلمين، وتحقيق التعايش السلمي بين الناس، وتجديد الثقافة الإسلامية وتجليتها في جوهرها الأصيل، وبحث القضايا المعاصرة، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢٣٨ المتون العلمية وأثرها في
٩٩٠٠٠٠٠٠٠٠٢٣٨١

تصميم: طارق الأشهب

الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
سلسلة إحياء التراث
(٦/٦)

المتون العلمية
وأثرها في التربية

رسالة قُدِّمت للأزهر الشريف سنة (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م)

تأليف
عبد الرحمن محمد صالح

السنة السادسة - الكتاب السادس
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

جمهورية مصر العربية
الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
شارع الطيران ـ مدينة نصر
القاهرة
فِهرست الهيئَة المصريَّة العامَّة
لدار الكُتُب والوثائق القوميَّة

المتُونُ العِلْمِيَّةُ وأثرُها في التَّربيةِ
صالح، عبد الرحمن محمد
الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ=٢٠٢٥م

١١ ×١٧ سم
عدد الصفحات: ١٤٨

۞ الإدارة العامة للمطبوعات
رقم الإيداع: ٢٠٢٤/٢٨٩٧٧
التَّرقيم الدولي: ٤ – ٦٦٤ – ٢٠٥ – ٩٧٧ - ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم

الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الدَّايم الجندي

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلاميَّة

الحمدُ للهِ الذي فتح بمفاتح الغيوب أقفالَ القلوبِ، وعجزت العقولُ عن إدراكِ كُنْهِ ذاتِهِ، وتاهتْ فهومُ الفحولِ في أنوارِ معرفةِ صفاتِهِ، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد بألوهيَّته الأزلي بأوليَّته، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله.

وبعد؛

فالبناءُ المَعرِفيُّ في الأزهرِ الشَّريفِ يقومُ على مَنهَجٍ يجمَعُ بينَ علومِ النَّصِّ والعقلِ والذَّوْقِ.

ونَقصِدُ بعلومِ النَّصِّ: العلومَ الَّتي تَستمِدُّ أدِلَّتَها -أوَّلًا وبالذَّاتِ- من القرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ المشرَّفةِ.

ونَقصِدُ بعلومِ العقلِ: العلومَ الَّتي تَستمِدُّ أدِلَّتَها من العقلِ؛ كعِلمِ الكلامِ، والمَنطِقِ، والفَلْسَفةِ، والمقولاتِ، وصناعةِ التَّوجيهِ (آدابِ البحثِ والمُناظَرةِ).

ونَقصِدُ بعلومِ الذَّوقِ: العلومَ الَّتي تَهتَمُّ بإصلاحِ القلبِ وسائرِ الحواسِّ، **وهذه العلومُ: منها: ما هو مقصودٌ لذاتِه، ومنها ما هو وَسِيلةٌ لغيرِه.**

فمن الأوَّلِ: عِلمُ أصولِ الدِّينِ (الفقهِ الأكبرِ)، وعِلمُ الفِقهِ (الفِقهِ الكبيرِ)، وعِلمُ التَّفسيرِ، وعِلمُ الحديثِ.

ومن الثَّاني: عِلمُ المَنطِقِ، وعِلمُ أصولِ الفقهِ، وعلومُ العربيَّةِ، وهي اثنا عشَرَ عِلمًا؛ كالنَّحوِ، والصَّرفِ، والمَعاني، والبيانِ، وذَيلِهما (عِلمِ البَديعِ)، ومَتنِ اللُّغةِ، والعَروضِ، والاشتقاقِ، والخطِّ، ونحوِ ذلك.

وقد استقرَّ في المَنهجيَّةِ الأزهريَّةِ أنَّه لا يُمكِنُ فَصْلُ علومِ النَّصِّ عن أُختَيْها مِنْ علومِ العقلِ والذَّوقِ.

فالأزهريُّ هو الَّذي يطلُبُ هذه العلومَ على وجهٍ تكامُليٍّ، وبها تشكَّلَتِ **الهُويَّةُ الأزهريَّةُ بأركانِها الثَّلاثةِ:**

أشعَريَّةِ الاعتقادِ، المَذهَبيَّةِ الفِقهيَّةِ، التَّصوُّفِ.

فجمَعَتْ بينَ: (الاعتقادِ، والعملِ، والسُّلوكِ)؛ وكلُّ أولئك خادِمٌ للنَّصِّ الشَّريفِ.

فالإمامُ الأشعريُّ لم يُنشِئْ مَذهبًا عَقَديًّا جديدًا، وإنَّما كان مقرِّرًا لِمَا جاءت به السُّنَّةُ وأجمعَتْ عليه الأمَّةُ في بابِ الاعتقادِ، وكذلك أئمَّةُ المَذاهِبِ الفِقْهيَّةِ، وعلى هذَينِ أقامَ أهلُ السُّلوكِ طريقَهم.

وفي ذلك يقولُ العَلَّامةُ الدَّرْدِيرُ: «فهؤلاء الثَّلاثةُ هم خواصُّ الأمَّةِ المُحمَّديَّةِ، فالنَّاجي مَنْ كان في عَقيدتِه على طِبْقِ ما بيَّنه أهلُ السُّنَّةِ، وقلَّد في الأحكامِ العَمليَّةِ إمامًا من الأئمَّةِ الأربعةِ المَرْضيِّين، ثُمَّ تمامُ النِّعمةِ والنَّجاةِ في سلوكِ مَسلَكِ الإمامِ الجُنَيدِ بعدَ أنْ أَحْكَمَ دِينَه على طِبْقِ ما بيَّنَهُ الفريقانِ المتقدِّمانِ»[(١)].

والطَّالبُ في هذه العلومِ واحدٌ من ثلاثةٍ:

إنْ لم يَقْدِرْ على تصوُّرِ مسائلِ العلمِ الَّذي يَشرَعُ فيه فـ(**مُبتدِئٌ**)، وإنْ قدَرَ على تصوُّرِها فـ(**متوسِّطٌ**)، وإنْ أضافَ إلى ذلك تقريرَ المَسائلِ ودَفْعَ الشُّبَهِ عنها فـ(**مُنْتَهٍ**).

وقد حرَصَ الأئمَّةُ على بيانِ أهمِّيَّةِ التَّدرُّجِ في العِلمِ على وَفقِ هذه المَراتبِ الثَّلاثةِ؛ يقولُ العَلَّامةُ زَرُّوق: «لكلِّ شيءٍ وجهٌ،

(١) «شرح الخريدة البهية» (ص ١٩٣)، بتصرُّف.

فطالبُ العِلمِ في بدايتِه شرطُه الاستماعُ والقَبولُ، ثُمَّ التَّصوُّرُ والتَّفهُّمُ، ثُمَّ التَّعليلُ والاستدلالُ، ثُمَّ العملُ والنَّشرُ؛ ومتى قدَّم رُتبةً عن مَحَلِّها حُرِمَ الوصولَ لحقيقةِ العلمِ مِنْ وَجْهِها.

فعالِمٌ بغيرِ تحصيلٍ ضُحْكَةٌ، ومُحصِّلٌ دونَ تصوُّرٍ لا عِبْرَةَ به، وصورةٌ لا يُحصِيهَا الفَهْمُ لا يُفِيدُها غيرَهُ، وعِلْمٌ عَرِي عن الحُجَّةِ لا يَنشرِحُ به الصَّدْرُ، وما لم يُنتِجْ فهو عَقِيمٌ.

والمُذاكَرةُ حياتُهُ، لكِنْ بشَرطِ الإنصافِ والتَّواضُعِ، وهو قَبولُ الحقِّ بحُسنِ الخُلُقِ، ومتى كَثُرَ العَدَدُ انتَفَيا، فاقتصِرْ ولا تَنْتَصِرْ، واطلُبْ ولا تُقصِّرْ، وباللهِ التَّوفيقُ»[(١)].

وهنا نذكُرُ مقترَحَينِ في مَنهجيَّةِ التَّعلُّمِ، وهما:

الأوَّلُ: مقترَحٌ ببعضِ الكتبِ المتخصصة والمعتمدة في الأزهر الشريف.

الثاني: مقترح ببعض الكتب المكونة للوعيِّ الفكريِّ العام.

وذلك على النحو الآتي:

---

(١) «قواعد التصوف وشواهد التعرف»، لأحمد زروق، تحقيق: نزار حمادي، دار الضياء بالكويت، ط٢، ٢٠٢٠م، (ص ٥٩).

أولًا: نماذج من الكتب المتخصصة والمعتمدة في الأزهر الشريف

العقيدة

١. «متنُ عقيدةِ العوامِّ» للشَّيخِ أحمدَ المَكِّيِّ المرزوقيِّ، وللشَّيخ مصطفى العقباويِّ.

٢. «كفايةُ العوامّ، فيما يَجِبُ عليهم من عِلمِ الكلام» للعَلَّامةِ محمَّدٍ الفَضاليِّ الشَّافعيِّ، وحاشيةُ «تحقيقِ المَقامِ» للعَلَّامةِ الباجُوريِّ.

٣. «متنُ الخَرِيدةِ البَهيَّةِ» و«شرحُها» للعَلَّامةِ أحمدَ الدَّرْدِيرِ، و«حاشيةُ العَلَّامةِ الصَّاويِّ»، و«حاشيةُ العَلَّامةِ السِّباعيِّ».

٤. «متنُ أمِّ البراهينِ» و«شرحُها» للعَلَّامةِ السَّنُوسيِّ، و«حاشيةُ العَلَّامةِ الدّسوقيِّ».

٥. «متنُ جَوهَرةِ التَّوحيدِ» للعَلَّامةِ إبراهيمَ اللَّقانيِّ، و«شرحُ العَلَّامةِ الباجُوريِّ»، و«شرحُ العَلَّامةِ الصَّاويِّ»، و«إتحافُ المُريد، شرحُ جَوهَرةِ التَّوحيد» للعَلَّامةِ عبدِ السَّلامِ اللَّقانيِّ، و«حاشيةُ العَلَّامةِ الأميرِ» عليه.

٦. «العقائدُ النَّسَفيَّةُ» لِنَجْمِ الدِّينِ النَّسَفيِّ، و«شرحُها» للعَلَّامةِ سعدِ الدِّينِ التَّفْتازانيِّ، و«حاشيةُ العَلَّامةِ الباجُوريِّ»، و«شرحُ العلَّامةِ محمد عبدِ العزيزِ الفرهاريِّ» = «النِّبراسُ شرحُ العقائدِ».

٧. «طوالعُ الأنوارِ» للبَيْضاويِّ، وشرحُه «مَطالِعُ الأنظارِ، شرحُ طوالِعِ الأنوار» للعَلَّامةِ الأصفهانيِّ، ومُختصَرُه «يانعُ الأزهارِ» للعلَّامةِ سليمانَ العبدِ.

٨. «الاقتصاد في الاعتقاد» لحُجَّةِ الإسلامِ الإمامِ الغزاليِّ.

٩. «عقائدُ أهلِ التَّوحيدِ» = «العقيدةُ الكبرى» للعَلَّامةِ السَّنُوسيِّ، و«حاشيةُ الحامدي»، و«حاشيةُ الدّسوقيِّ».

١٠. «المَواقِفُ» لعَضُدِ الدِّينِ الإيجيِّ، و«شرحُه» للسَّيِّدِ الشَّريفِ الجُرجانيِّ، و«حاشيةُ العَلَّامةِ عبدِ الحَكيمِ السّيالكُوتيِّ».

١١. «المَقاصِدُ» و«شرحُه» للعَلَّامةِ سعدِ الدِّينِ التَّفتازانيِّ، وشرحُه «أشرفُ المَقاصِدِ» للعَلَّامةِ ابنِ يعقوبَ المَغرِبيِّ.

عِلمُ التَّجويدِ والقِراءاتِ

١. «تُحْفَـةُ الأطفـالِ» و«شـرحُها» للعَلَّامـةِ سُـليمانَ الجَمْـزُوريِّ، وشـرحُها «مِنْحـةُ ذي الجَـلال، شـرحُ تُحْفـةِ الأطفـال» للعَلَّامـةِ عليٍّ الضَّبَّاعِ.

٢. «المقدِّمـةُ الجَزَريَّـةُ في التَّجويـدِ» للعَلَّامـةِ المُقـرِئِ محمَّـدِ بـنِ الجَـزَريِّ، وشـرحُها «الـدَّقائقُ المُحكَمـة، في شـرحِ المُقدِّمـة» لشـيخِ الإسـلامِ زكريَّـا الأنصـاريِّ، و«شـرحُها» للشَّـيخِ خالـدٍ الأزهريِّ.

٣. «حِرْزُ الأماني، ووجْهُ التَّهاني» = «الشَّاطبيَّةُ» للإمامِ الشَّاطبيِّ.

٤. «طيِّبةُ النَّشر، في القراءاتِ العشر» للإمامِ ابنِ الجَزَريِّ.

٥. «البُرهان، في تجويدِ القرآن» للشَّيخِ محمَّدٍ الصَّادقِ القَمْحاويِّ.

٦. «نهايةُ القولِ المُفِيد، في علم التَّجويد» للشَّيخِ محمَّد مكِّيّ نَصْر.

٧. «الوافي في شرحِ الشَّاطبيَّةِ» للشَّيخِ عبدِ الفتَّاحِ القاضي.

التَّفسيرُ

١. «تفسيرُ الجَلالَين».

٢. «مَدارِكُ التَّنزيل، وحقائقُ التَّأويل» = «تفسيرُ النَّسَفيِّ».

٣. «أنوارُ التَّنزيل، وأسرارُ التَّأويل» = «تفسيرُ البيضاويِّ».

٤. «إرشادُ العقلِ السَّليم، إلى مزايا الكتابِ الكَرِيم» = «تفسيرُ أبي السُّعودِ».

٥. «الكشَّافُ عن حقائقِ التَّنزيلِ» = «تفسيرُ الزَّمَخْشَريِّ».

علوم القرآن

١. «النَّبأُ العظيمُ» للعَلَّامةِ محمَّد عبد الله دراز.

٢. «المَدخَلُ إلى دراسةِ القرآنِ الكريمِ» للعَلَّامةِ أبي شهبةَ.

٣. «مذكِّرةٌ في علومِ القرآنِ» للعَلَّامةِ أبي دَقِيقةَ.

٤. «البُرهان، في علومِ القرآن» للإمامِ الزَّرْكَشيِّ.

٥. «الإتقان، في علومِ القرآن» للحافظِ السُّيوطيِّ.

٦. «مَناهِلُ العِرفان، في علومِ القرآن» للإمامِ الزُّرقانيِّ.

٧. «أسبابُ النُّزولِ» للإمامِ أبي الحسنِ الواحديِّ.

الحديثُ الشَّريفُ

١. «شرحُ الأربعينَ النَّوويَّةِ» للشَّرْنوبيِّ.

٢. «دليلُ الفالحِين، لطُرقِ رياضِ الصَّالحين» لابنِ عَلَّانَ الصِّدِّيقيِّ.

٣. «موطَّأُ الإمامِ مالكٍ»، و«شرحُه» للعَلَّامةِ الزُّرقانيِّ.

٤. «التَّجريدُ الصَّريح، لأحاديثِ الجامعِ الصَّحيح» = «مُختصَرُ الزَّبيديِّ»، وشرحُه للعَلَّامةِ الشَّرقاويِّ «فتحُ المُبدِي بشرحِ مختصَرِ الزَّبيديِّ».

٥. «بَهْجةُ النُّفوسِ» = «شرحُ مختصَرِ البخاريِّ» لابنِ أبي جَمْرةَ.

٦. «صحيح البخاري» = «الجامعُ المُسنَدُ الصَّحيحُ المُختصَرُ من أمورِ رسولِ اللهِ ﷺ وسُننِه وأيَّامه»، وشروحه؛ مثل: «فتحِ الباري» لابنِ حَجَرٍ العَسْقَلانيِّ، و«عمدةِ القاري» لبدرِ الدِّينِ العَينيِّ، و«إرشادِ السَّاري» لشِهابِ الدِّينِ القَسْطَلانيِّ، و«فيضِ الباري» لمحمَّد أنور شاه الكَشْميريِّ.

٧. «صحيحُ مسلِمٍ» = «المُسنَدُ الصَّحيحُ المختصَرُ من السُّننِ بنقلِ العَدلِ عن العَدلِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ»، و«شرحُه» للإمام النَّوويِّ = «المِنهاج، شرحُ صحيحِ مسلمِ بنِ الحَجَّاج».

٨. «الجامعُ الصَّغيرُ» للحافظِ السُّيوطيِّ، و«التَّيسير، بشرح الجامعِ الصَّغير» و«فيضُ القدير، شرحُ الجامعِ الصَّغير» للإمامِ المُناويِّ، و«السِّراجُ المنير، شرحُ الجامعِ الصَّغير» للإمامِ العَزيزيِّ.

مصطلح الحديث وعلومه

١. «المنظومةُ البَيْقُونيَّةُ»، و«شرحُها» للعَلَّامةِ الزُّرقانيِّ.

٢. «نُخْبَةُ الفِكَر، في مُصطلَحِ أهلِ الأثَر»، وشرحُها «نُزهةُ النَّظَرِ» لشيخِ الإسلامِ ابن حجَرٍ العَسْقَلانيِّ.

٣. «مُقدِّمةُ ابنِ الصَّلاحِ»، و«النُّكَتُ عليها» للعَلَّامةِ الزَّركشيِّ.

٤. «تدريبُ الرَّاوي، بشرح تقريب النَّواوي» للحافظِ السُّيوطيِّ.

٥. «ألفيَّةُ العراقيِّ» وشرحُها «التَّبصِرةُ والتَّذكِرةُ» للإمامِ زَينِ الدِّينِ العِراقيِّ، وشرحُها «فتحُ المُغيثِ» للعَلَّامةِ السَّخاويِّ.

٦. «ألفيَّةُ الحديثِ» = «نظمُ الدُّرَر، في عِلمِ الأثَر» للحافظِ السُّيوطيِّ، و«شرحُها» للعلَّامةِ محمَّد محيِي الدِّين عبدِ الحميدِ.

٧. «الجامع، لأخلاقِ الرَّاوي وآدابِ السَّامع» للخطيبِ البَغْداديِّ.

٨. «الإلماع، إلى معرفةِ أصولِ الرِّوايةِ وتقييدِ السَّماع» للقاضي عِياضٍ.

السِّيرةُ النَّبويَّة والشَّمائلُ المُحمَّديَّة

١. «الشَّمائلُ المُحمَّديَّةُ» للإمامِ التِّرمذيِّ، و«حاشيةُ العَلَّامةِ الباجُوريِّ» = «المَواهِبُ اللَّدُنيَّة، على الشَّمائلِ المُحمَّديَّة»، و«حاشيةُ العَلَّامةِ سُليمانَ الجَمَلِ» = «المَواهِبُ المُحمَّديَّة، بشرحِ الشَّمائلِ التِّرمذيَّة».

٢. «الشِّفا، بتعريفِ حقوقِ المصطفى» للقاضي عِياضٍ، وشرحُ العَلَّامةِ شِهابِ الدِّينِ الخَفاجيِّ «نَسيمُ الرِّياض، في شرحِ شفا القاضي عِياض».

٣. «البُردةُ» = «الكواكبُ الدُّرِّيَّة، في مَدْحِ خيرِ البَرِيَّة» للإمامِ البُوصِيريِّ، و«شرحُ العَلَّامةِ الباجُوريِّ»، و«شرحُ العَلَّامةِ

الطَّاهرِ بنِ عاشورٍ» = «شفاءُ القلبِ الجريح، بشرحِ بُردةِ المَدِيح».

٤. «الهَمْزيَّةُ» = «أمُّ القُرى، في مَدْحِ خيرِ الوَرَى» للإمامِ البُوصِيريِّ، و«حاشيةُ العَلَّامةِ سليمانَ الجَمَل» = «الفُتُوحاتُ الأحمديَّة، بالمِنَح المُحمَّديَّة».

٥. «المَواهبُ اللَّدنيَّة، بالمِنَحِ المُحمَّديَّة» للعَلَّامةِ القَسْطَلانيِّ، و«شرحُه» للعَلَّامةِ الزُّرقانيِّ.

٦. «الرَّوضُ الأُنُفُ» للعَلَّامةِ السُّهيليِّ.

٧. «نورُ العُيون، في سيرةِ الأمينِ المأمون صلى الله عليه وسلم» لابنِ سيِّدِ النَّاسِ.

٨. «عَرْفُ التَّعريف، بالمَولِدِ الشَّريف» للعَلَّامةِ ابنِ الجَزَريِّ.

٩. «المَورِدُ الهَنيّ، في المَولِدِ السَّنيّ» للعَلَّامةِ العِراقيِّ.

١٠. «محمَّدٌ رسولُ اللهِ: مَنهَجٌ، ورسالةٌ» للعَلَّامةِ محمَّدٍ الصَّادقِ عُرْجُون.

١١. «فِقهُ السِّيرةِ» للعَلَّامةِ محمَّد سعيد رمضان البُوطيِّ.

أصولُ الفِقهِ

١. «متنُ الوَرَقاتِ» لإمامِ الحرَمَينِ الجُوَينيِّ، و«شرحُ العَلَّامةِ المَحَلِّيِّ»، و«شرحُ العَلَّامةِ الحَطَّابِ» = «قُرَّةُ العين، بشرحِ ورَقَاتِ إمامِ الحرَمَين».

٢. «لُبُّ الوصول، إلى عِلمِ الأصول» وشرحُه «غايةُ الوصولِ» لشيخِ الإسلامِ زكريَّا الأنصاريِّ.

٣. «تقريبُ الوصول، إلى عِلمِ الأصول» لابنِ جُزَيٍّ المالكيِّ الغَرْناطيِّ.

٤. «جمعُ الجوامعِ» للتَّاجِ السُّبْكيِّ، و«شرحُ العَلَّامةِ المَحَلِّيِّ» = «بدرُ الطَّالعِ في حَلِّ جمعِ الجوامعِ»، و«حاشيةُ العَلَّامةِ البَنَّانيِّ»، و«حاشيةُ العَلَّامةِ العَطَّارِ على شرحِ المَحَلِّيِّ».

٥. «منارُ الأنوارِ» لحافظِ الدِّينِ النَّسَفيِّ، و«شرحُه» للإمامِ ابنِ مَلَكٍ الكِرمانيِّ، و«شرحُ الإمامِ ابنِ نُجَيمٍ» = «فتحُ الغَفَّار، بشرحِ المَنار»، و«شرحُ الإمامِ ابنِ عابدِينَ» = «نَسَماتُ الأسحار، على شرحِ المَنارِ».

٦. «الوسيطُ في أصولِ فقهِ الحَنَفيَّةِ» للعَلَّامةِ أحمد فهمي أبو سِنَّةَ.

٧. «تنقيحُ الأصولِ» وشرحُه «التَّوضيح، في حَلِّ غوامِضِ التَّنقيح» لصَدرِ الشَّريعةِ، و«حاشيةُ العَلَّامةِ سعدِ الدِّينِ التَّفْتازانيِّ» = «التَّلويح، إلى كشفِ حقائقِ التَّنقيح»، و«طريقُ الوصول، إلى تنقيحِ الأصول» للعَلَّامةِ سُلَيمان عبد الفَتَّاح.

٨. «أصولُ البَزْدَويِّ»، وشرحُه «كشفُ الأسرارِ» لعلاءِ الدِّينِ البخاريِّ.

٩. «مُسلَّمُ الثُّبوتِ» لابنِ عبدِ الشَّكورِ البَهاريِّ، وشرحُه «فواتحُ الرَّحَموت، على مُسلَّمِ الثُّبوت» للعَلَّامةِ اللَّكْنَويِّ.

١٠. «الأشباهُ والنَّظائرُ» لابنِ نُجَيمٍ.

الفقهُ الحَنَفيُّ

١. «نورُ الإيضاح، ونجاةُ الأرواح»، وشرحُه «مَراقي الفلاح، شرحُ نورِ الإيضاح» للعَلَّامةِ الشُّرُنْبُلاليِّ، و«حاشيةُ الطَّحَاويِّ على مَراقي الفلاح».

٢. «مُختصَرُ القُدُوريِّ» = «الكتابُ» لأبي الحسينِ القُدُوريِّ، وشرحُه «اللُّباب، في شرح الكتاب» لعبدِ الغنيِّ الغُنَيميِّ المَيْدانيِّ الحَنَفيِّ.

٣. «المُختارُ للفَتْوى»، وشرحُه «الاختيار، لتعليلِ المختار» لابنِ مودودٍ المَوصِليِّ الحَنَفيِّ.

٤. «بدايةُ المبتدي»، وشرحُه «الهِداية، في شرحِ البداية» لبُرهانِ الدِّينِ المَرْغِينانيِّ.

٥. «كَنزُ الدَّقائقِ» لأبي البَرَكاتِ النَّسَفيِّ، وشرحُه «النَّهرُ الفائق، شرحُ كَنزِ الدَّقائق» لابنِ نُجَيمٍ، وشرحُه «رمزُ الحقائق، في شرح كَنزِ الدَّقائق» لبدرِ الدِّينِ العَينيِّ.

الفقهُ المالكيُّ

١. «المقدِّمةُ العَشْماويَّة، في فقهِ السَّادةِ المالكيَّة» للشَّيخِ عبدِ الباري العَشْماويِّ الرِّفاعيِّ، وشرحُها «الجواهرُ الزَّكيَّة، في حَلِّ ألفاظِ العَشْماويَّة» لابنِ تُركِيٍّ المالكيِّ.

٢. «المُرشِدُ المُعِين، على الضَّروريِّ من علومِ الدِّين» لابنِ عاشرٍ.

٣. «الرِّسالةُ» لابنِ أبي زيدٍ القَيْروانيِّ، و«شرحُ العَلَّامةِ التَّتائيِّ» = «تنويرُ المَقالة، في حَلِّ ألفاظِ الرِّسالة»، و«شرحُ العَلَّامةِ ابنِ ناجي التَّنُوخيِّ»، و«شرحُ العَلَّامةِ زَرُّوق»، و«شرحُ العَلَّامةِ أبي الإرشادِ عليٍّ الأُجْهوريِّ»، و«شرحُ العَلَّامةِ المَنوفيِّ» = «كفايةُ

الطَّالبِ الرَّبَّانيِّ، لرسالةِ ابنِ أبي زيدٍ القَيْروانيِّ»، و«حاشيةُ الشَّيخِ عليٍّ العَدَويِّ الصَّعيديِّ» على «كفايةِ الطَّالبِ».

٤. «أقربُ المسالِك، إلى مذهبِ الإمامِ مالك» = «الشَّرحُ الصَّغير» للشَّيخِ أحمدَ الدَّرْديرِ، و«حاشيةُ العَلَّامةِ الصَّاويِّ» = «بُلغةُ السَّالك، لأقربِ المَسالك، إلى مذهبِ مالك».

٥. «مختصَرُ خليلٍ» للشَّيخِ ضياءِ الدِّينِ خليلِ بنِ إسحاقَ الجنديِّ، وشرحُه «مواهِبُ الجليلِ» للشَّيخِ الحَطَّابِ، و«شرحُ الخَرَشيِّ» على «مختصَرِ خليلٍ» مع «حاشيةِ العدويِّ»، و«الشَّرحُ الكبيرُ» = «شرحُ مختصَرِ خليلٍ» للعَلَّامةِ أبي البَركاتِ أحمدَ الدَّرديرِ، و«حاشيةُ الدّسوقيِّ» على «الشَّرحِ الكبيرِ»، و«الإكليل، شرحُ مختصَرِ خَليلٍ» للأميرِ الكبيرِ.

٦. «شرحُ المجموعِ» للأميرِ مع «حاشيةِ حِجازيٍّ».

الفقهُ الشَّافعيُّ

١. «متنُ أبي شجاعٍ» = «الغايةُ والتَّقريبُ»، و«شرحُ العَلَّامةِ ابنِ قاسمٍ الغَزِّيِّ» = «فتحُ القريبِ المُجيب، في شرحِ ألفاظِ التَّقريب»، و«حاشيةُ البِرْماويِّ» على «شرحِ ابنِ قاسمٍ الغَزِّيِّ»،

و«حاشيةُ الباجُوريِّ» على «شرحِ ابنِ قاسمٍ الغَزِّيِّ»، و«الإقناع، في حَلِّ ألفاظِ أبي شجاع» للخطيبِ الشِّربينيِّ.

٢. «مِنهاجُ الطَّالبينَ» للإمامِ النَّوويِّ، وشرحُه «تحفةُ المحتاجِ» لابنِ حجرٍ الهَيْتميِّ، و«مغني المحتاج، إلى معرفةِ معاني ألفاظِ المنهاج» للخطيبِ الشِّربينيِّ، و«نهايةُ المحتاج، إلى شرحِ المِنْهاج» لشهابِ الدِّينِ الرَّمليِّ، و«حاشيةُ العَلَّامةِ الشَّبْرَامَلَّسيِّ».

٣. «متنُ السِّتِّينَ مسألةً» للشَّيخِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ سُلَيمانَ الزَّاهدِ.

٤. «سفينةُ النَّجا، لمَن إلى اللهِ الْتَجا» للشَّيخِ سالمِ بنِ سميرٍ الحَضْرميِّ، وشرحُها «نيلُ الرَّجا، شرحُ سفينةِ النَّجا» للعَلَّامةِ أحمدَ بنِ عمرَ الشَّاطريِّ.

٥. «فتحُ الرَّحمن، شرحُ زُبَدِ ابنِ رَسْلان» للشِّهابِ الرَّمليِّ.

٦. «المقدِّمةُ الحَضْرميَّة» للشَّيخِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ بَافَضْلٍ الحَضْرَميِّ.

٧. «الأمُّ» للإمامِ الشَّافعيِّ.

٨. «المهذَّبُ» للشِّيرازيِّ.

٩. «الوجيزُ» و«الوسيطُ» لحُجَّةِ الإسلامِ الغزاليِّ.

الفقهُ الحَنبَليُّ

١. «مختصَرُ الخِرَقيِّ»، و«المغني، شرحُ مختصَرِ الخِرَقيِّ» لابنِ قُدامةَ.

٢. «العُمْدةُ» لابنِ قُدامةَ.

٣. «المُقنِعُ» لابنِ قُدامةَ.

٤. «زادُ المُستقنِع، في اختصارِ المُقنِع» للحجاويِّ، وشرحه «الرَّوضُ المُربِع، في شرحِ زادِ المُستقنِع» للبُهُوتيِّ، و«بُغيةُ المتتبِّع، لحَلِّ ألفاظِ روضِ المُربِع» للعَوفيِّ.

٥. «منتهَى الإرادات، في جمعِ المُقنِعِ مع التَّنقيح وزيادات» لابنِ النَّجَّارِ، و«حاشيةُ مُنتهَى الإراداتِ» للخَلْوتيِّ.

٦. «الإقناع، لطالبِ الانتفاع» للحجاويِّ.

٧. «دليلُ الطَّالب، لنَيلِ المطالِب» لمَرعيِّ بنِ يوسُفَ الكرميِّ المَقْدِسيِّ، وشرحه «مَسلَكُ الرَّاغب، لشرحِ دليلِ الطَّالب» لبُرهانِ الدِّينِ العَوفيِّ.

المواريث

١. «الرَّحَبيَّةُ» لأبي عبدِ اللهِ الرَّحَبيِّ الشَّافعيِّ، و«شرحُها» لبدرِ الدِّينِ المارِدِينيِّ، و«حاشيةُ البَقَريِّ» على «شرحِ المارِدِينيِّ»، و«شرحُ الشَّنْشُوريِّ» = «الفوائدُ الشَّنْشُوريَّة، في شرحِ المنظومةِ الرَّحَبيَّة»، و«حاشيةُ العَلَّامةِ الباجُوريِّ» = «التُّحفةُ الخيريَّة، على الفوائدِ الشَّنْشُوريَّة».

٢. «السِّراجيَّة» لسراجِ الدِّينِ محمدِ بنِ محمَّدٍ السَّجاوَنديِّ الحَنَفيِّ، و«شرحُها» للسَّيِّدِ الشَّريفِ الجُرجانيِّ.

٣. «الوجيزُ في الميراثِ على المذاهبِ الأربعةِ»، لمِنْشاوي عُثْمان عَبُّود.

٤. «أحكامُ المواريثِ في الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ» لمحمد مُحيِي الدِّين عبدِ الحميد.

المَنطِق

١. «السُّلَّمُ المُنَورَقُ» و«شرحُه» للعَلَّامةِ الأخضريِّ، و«حاشيةُ العَلَّامةِ عليٍّ العَدَويِّ الصَّعيديِّ» على «شرح الأخضريِّ»، و«شرحُ العَلَّامةِ الدَّمَنهوريِّ»، و«شرحُ العَلَّامةِ محمَّد قش الغرقيّ»، و«شرحُ العَلَّامةِ القُوَيْسِنيِّ»، وشرحا العَلَّامةِ المَلَّويِّ: «الكبيرُ» و«الصَّغيرُ»، و«حاشيةُ العَلَّامةِ الصَّبَّانِ» على «الشَّرحِ الصَّغيرِ للمَلَّويِّ»، و«شرحُ العَلَّامةِ الباجُوريِّ»، و«شرحُ العَلَّامةِ ابنِ يعقوبَ المَغرِبيِّ» = «القولُ المُسَلَّم، في تحقيقِ معاني السُّلَّم»، و«مذكِّراتٌ على السُّلَّم» للشَّيخِ صالح موسى شرَف.

٢. «متنُ التَّهذيبِ» لسعدِ الدِّينِ التَّفْتازانيِّ، و«شرحُه» للعَلَّامةِ الخَبيصيِّ، و«حاشيةُ العَلَّامةِ الدّسوقيِّ»، و«حاشيةُ العَلَّامةِ العطَّارِ» على «شرحِ الخَبيصيِّ»، و«شرحُ العَلَّامةِ اليَزديِّ» على «متنِ التَّهذيبِ».

٣. «متنُ الرِّسالةِ الشَّمسيَّةِ» للكاتبي، و«شرحُ العَلَّامةِ قُطبِ الدِّينِ الرَّازيِّ» = «تحريرُ القواعدِ المَنطِقيَّة، في شرح الرِّسالةِ

الشَّمسيَّة»، وحواشي: «السَّيِّدِ الشَّريفِ الجُرْجانـيِّ» و«المَولى عصامِ الـدِّينِ» و«السِّيالكُوتـيِّ» و«الدّسـوقيِّ» علـى «تحريـرِ القواعدِ المَنطِقيَّةِ».

٤. «متنُ إيساغوجي» لأثيرِ الـدِّين الأَبْهَريِّ، وشروح: «حسامِ الدِّين كاتي» (قال أقول)، و«الفَناريِّ»، و«الكلنبويِّ»، و«شيخ الإسلامِ زكريَّا الأنصاريِّ» = «المطلع»، و«حاشيةُ العَطَّارِ على المطلع»، و«حاشيةُ منلا أحمدَ» على «الفَناريِّ»، و«حاشية الكانقريِّ» على «منلا أحمدَ».

النَّحو

١. «الآجُرُّوميَّةُ»، و«شرحُها» = «التُّحفةُ السَّنيَّةُ، شرحُ الآجُرُّوميَّةِ» للعَلَّامةِ محمد محيِي الدِّين عبد الحميد، و«شرح الكَفْرَاويِّ» على «الآجُرُّوميَّةِ» مع «حاشيةِ الحامدي».

٢. «تنقيحُ الأزهريَّةِ» للعَلَّامةِ محمد محيي الدِّينِ عبد الحميد.

٣. «العواملُ المائةُ» للجُرْجانيِّ.

٤. «حاشيةُ أبي النَّجا» على «شرح الشَّيخ خالدٍ» على «الآجروميَّةِ».

٥. «المُقدِّمـةُ الأزهريَّـةُ» و«شـرحُها» للعلَّامـةِ خالـدٍ الأزهـريِّ، و«حاشيةُ العَطَّارِ».

٦. «شـرحُ قطـرِ النَّـدى» لابـنِ هشـام الأنصـاريِّ، مـع حواشـي: «العَلَّامـةِ ياسين العُلَيميِّ»، و«العَلَّامـةِ السِّجَاعيِّ»، و«العَلَّامـةِ الآلوسيِّ».

٧. «شرحُ شُذورِ الذَّهبِ» لابنِ هشامٍ الأنصاريِّ.

٨. «شرحِ ابنِ عَقِيلٍ» على «ألفيَّةِ ابنِ مالكٍ».

٩. «أوضحُ المَسالكِ، شرحُ ألفيَّةِ ابنِ مالكٍ» لابنِ هشامٍ.

١٠. «التَّصريحُ بمضمونِ التَّوضيحِ» للعَلَّامةِ خالدٍ الأزهريِّ، مع «حاشيةِ العَلَّامةِ ياسين العُلَيْمِيِّ».

١١. «حاشيةُ الصَّبَّانِ» على «شرحِ الأُشْمُونيِّ» على «الألفيَّةِ».

١٢. «شرحُ الدَّمامينيِّ» على «تسهيلِ ابنِ مالكٍ».

١٣. «مغني اللَّبيب، عن كتبِ الأعاريب» لابـنِ هشـام مع حواشـي «العَلَّامةِ الدَّمامينيِّ»، و«العَلَّامةِ الدّسوقيِّ»، و«العَلَّامةِ الأميرِ».

١٤. «الأشباهُ والنَّظائرُ» للحافظِ السُّيوطيِّ.

١٥. «الكتابُ» لسِيبَوَيْهِ.

الصَّرفُ

١. «عنوانُ الظَّرْف، في فنِّ الصَّرف» للعَلَّامةِ هارونَ عبد الرَّزَّاقِ.

٢. «هدايةُ الطَّالبِ» للعَلَّامةِ أحمدَ مصطفى المَراغيِّ.

٣. «شَذا العَرف، في فنِّ الصَّرف» للعَلَّامةِ أحمدَ الحَمَلاويِّ.

٤. «البناءُ في الصَّرفِ» منسوبٌ إلى المولى ملَّا عبدِ اللهِ الدّنقزيّ.

٥. «دروسُ التَّصريفِ» للعَلَّامةِ محمَّد محيِي الدِّين عبد الحميدِ.

٦. «مَراحُ الأرواحِ» للشَّيخِ العَلَّامةِ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ مسعودٍ.

٧. «تصريفُ العِزِّيِّ»، و«شرحُه» للسَّعدِ التَّفتازانيِّ، و«شرحُه» للسَّيِّدِ الشَّريفِ الجُرْجانيِّ.

٨. «نَظْمُ المقصودِ» للعَلَّامةِ أحمدَ بنِ عبدِ الرَّحيمِ الطَّهطاويِّ، و«شرحُه» = «حَلُّ المعقود، مِنْ نَظْمِ المقصود» للعَلَّامةِ عِليش.

٩. «المُغني في تصريفِ الأفعال»، و«اللُّبابُ في تصريفِ الأفعال»؛ كلاهما للعَلَّامةِ محمَّد عبدِ الخالقِ عُضَيمة.

١٠. «لاميَّةُ الأفعالِ» لابنِ مالكٍ، و«شرح بَحْرَقٍ اليَمَنيِّ، و«حاشيةُ الرِّفاعيِّ».

١١. «الشَّافيةُ في عِلمِ التَّصريفِ» لابنِ الحاجبِ، و«شرحُها للرَّضيِّ».

البلاغة

١. «البلاغةُ الواضحةُ» لعليٍّ الجارِمِ، ومصطفى أمين.

٢. «دروسُ البلاغةِ» لحِفْنيِّ ناصِف، ومحمَّد دِياب، وسُلطان محمد، ومصطفى طموم.

٣. «شموس البراعة» للرَّامفُوريِّ.

٤. «الجوهرُ المكنونُ» للعَلَّامةِ الأخضَريِّ، و«شرحُه» = «حِلْيةُ اللُّبِّ المصونِ» للعَلَّامةِ الدَّمَنهُوريِّ.

٥. «المِنهاجُ الواضحُ في البلاغةِ» للأستاذ حامد عَوني.

٦. «مائةُ المعاني والبيانِ» لابنِ الشِّحْنةِ.

٧. «ثـلاثُ رسـائلَ في إعجـازِ القـرآنِ» (الخَطَّـابيِّ، والرُّمَّانـيِّ، وعبد القاهر الجُرْجانيِّ).

٨. «تحفةُ الإخوان، في عِلمِ البيان» للعَلَّامةِ الدَّرْديرِ، و«حاشيةُ العَلَّامةِ الصَّاويِّ» عليها.

٩. «الرِّسـالةُ السَّـمَرْقَنْدِيَّةُ»، و«شـرحُها» للعَلَّامـةِ المَلَّـويِّ، مـع حواشـي «الصَّـبَّانِ» و«الأمير» و«البيَلـيِّ» و«العَروسـيِّ» علـى «شـرحِ المَلَّـويِّ»، وحواشـي «العَلَّامـةِ العَطَّـارِ» و«العَلَّامـةِ الباجُوريِّ» و«العَلَّامةِ الدَّمَنهوريِّ» على «الرِّسالةِ السَّمَرقَنْدِيَّةِ».

١٠. «أسرارُ البلاغـةِ» و«دلائـلُ الإعجـازِ»؛ كلاهمـا لعبـدِ القاهـرِ الجُرْجانيِّ.

١١. «تلخيصُ المِفتـاحِ» لجـلالِ الـدِّينِ القَزْوينـيِّ، و«شـرحُه» = «مختصَـرُ المعـاني» للعَلَّامـةِ السَّـعدِ التَّفتازانـيِّ، مـع «حاشـيةِ العَلَّامةِ الدّسوقيِّ».

١٢. «المُطوَّلُ» للسَّعدِ التَّفتازانيِّ، مع «حاشيةِ العَلَّامةِ الدّسـوقيِّ»، و«حاشية العَلَّامةِ عبدِ الحَكيمِ السِّيالكُوتيِّ»، مع مطالعة كتب الزَّمَخْشَريِّ.

الأدب

١. «الرَّسائل» للجاحظِ.

٢. «البيانُ والتَّبيينُ» للجاحظِ.

٣. «أدبُ الكاتبِ» لابنِ قُتيبةَ.

٤. «الكاملُ» للمبرّدِ.

٥. «الأمالي» لأبي عليٍّ القالي.

٦. «العِقْدُ الفَريدُ» لابنِ عبدِ ربِّه القُرطُبيِّ الأنْدَلُسيِّ.

٧. «الأغاني» للأصبهانيِّ.

٨. «المعلَّقاتُ العَشْرُ»، و«شرحُها» للزَّوْزَنيِّ.

٩. «مقاماتُ الحَريريِّ».

١٠. «مقاماتُ بديعِ الزَّمانِ الهَمَذانيِّ».

١١. «مقاماتُ الزَّمَخْشَريِّ».

١٢. «نهجُ البلاغةِ» لسيِّدِنا عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ بجمعِ الشَّريفِ الرَّضيِّ.

التَّصوُّف

١. «أبْجَديَّةُ التَّصوُّفِ» للشَّيخِ محمَّد زكِيِّ الدِّينِ إبراهيم.

٢. «حقائقُ عن التَّصوُّفِ» لعبدِ القادرِ عيسى.

٣. «تُحفةُ الإخوان، في آدابِ أهلِ العِرْفان» للدَّرْديرِ.

٤. «بستانُ العارفينَ» للنَّوويِّ.

٥. «رسالةُ أيُّها الوَلَدُ» لحُجَّةِ الإسلامِ الغزاليِّ.

٦. «بدايةُ الهدايةِ» لحُجَّةِ الإسلامِ الغزاليِّ.

٧. «تاجُ العروس، الحاوي لتهذيبِ النُّفوس» لابنِ عطاءِ اللهِ السَّكَنْدَريِّ.

٨. «المُنقذُ من الضَّلالِ» لحُجَّةِ الإسلامِ الغزاليِّ.

٩. «الحِكَمُ العَطائيَّةُ»، و«شرحُ الشَّرْنُوبيِّ»، و«شرحُ ابنِ عَجِيبةَ»، و«شرحُ زَرُّوق»، و«شرحُ البُوطيِّ»، وغيرها من الشُّروح النَّفيسةِ.

١٠. «قواعدُ التَّصوُّفِ» لزَرُّوق.

١١. «الأنوارُ القُدُسيَّة، في بيانِ قواعدِ الصُّوفيَّةِ» للشَّعرانيِّ.

١٢. «الرِّعايةُ لحقوقِ اللهِ» للحارثِ المُحاسِبيِّ.

١٣. «الرِّسالةُ القُشَيريَّةُ».

١٤. «اللُّمَعُ» للطُّوسيِّ.

١٥. «التَّعرُّف، لمَذهَبِ أهلِ التَّصوُّف» للكَلاباذيِّ.

١٦. «قوتُ القلوب، في مُعامَلةِ المحبوب، ووصف طَريقِ المُريد، إلى مَقامِ التَّوحيد» لأبي طالبٍ المَكِّيِّ.

١٧. «مَنازِلُ السَّائرين، إلى الحقِّ المُبِين» للهَرَويِّ.

١٨. «الغُنيةُ لطالبي طريقِ الحقِّ» للجِيلانيِّ.

١٩. «إحياءُ علومِ الدِّينِ» للغزاليِّ.

٢٠. «ألفيَّةُ الشَّيخِ مصطفى البَكريِّ في التَّصوُّفِ».

٢١. «التَّجلِّياتُ الإلهيَّةُ» لابنِ عَربيٍّ.

ثانيًا: مقترح ببعض الكتب المكونة للوعي الفكري العام:

١. «مقوِّماتُ الإسلامِ» للإمامِ الأكبرِ أحمدَ الطَّيِّبِ.

٢. «الكَلِمُ الطَّيِّبُ» للإمامِ الأكبرِ أحمدَ الطَّيِّبِ.

٣. «رؤيةٌ إسلاميَّةٌ في قضايا العصرِ» للدُّكتورِ محمَّد عبد الفضيلِ القُوصِي.

٤. «فكر المسلم وتحديات الألف الثالثة» للشَّيخِ نورِ الدِّينِ عِتْر.

٥. «خُلاصةُ العقائدِ» للشَّيخِ محمَّد زَكِيِّ الدِّين إبراهيم.

٦. «كبرى اليقينيَّاتِ الكونيَّةِ» للدُّكتورِ محمَّد سعيد رمضان البُوطيِّ.

٧. «في المَنهَجِ الأزهريِّ» للإمامِ الأكبرِ أحمدَ الطَّيِّبِ.

٨. «مَنهَجُ الحضارةِ الإنسانيَّةِ في القرآنِ» للدُّكتور البُوطيِّ.

٩. «حِوارٌ حولَ مُشكِلاتٍ حضاريَّةٍ» للدُّكتور البُوطيِّ.

١٠. «الحضارةُ فَريضةٌ إسلاميَّةٌ» للدُّكتورِ محمود حَمْدي زَقْزُوق.

١١. «الدِّين» للدُّكتور محمَّد عبد الله دراز.

١٢. «الاستشراقُ والخَلْفيَّةُ الفِكْرِيَّةُ للصِّراعِ الحضاريِّ» للدُّكتور محمود حَمْدي زَقْزُوق.

١٣. «مَقالاتٌ وفتاوَى» للشَّيخِ يُوسُف الدِّجْويِّ.

١٤. «كلمةُ الرَّائد» = «مقالاتُ الإمامِ محمَّد زكيِّ الدِّينِ إبراهيم».

١٥. «مَقالاتُ الطَّناحيِّ».

١٦. «مقالاتُ محمَّد يوسف الشَّيخ».

١٧. «فُرقانُ القرآن، بينَ صفاتِ الخالقِ وصفاتِ الأكوان» للعَلَّامةِ سلَامةَ العزاميِّ.

١٨. «البَراهينُ السَّاطعة، في ردِّ بعضِ البِدَعِ الشَّائعة» للعَلَّامةِ سلَامة العزاميِّ.

١٩. «فيضُ الوَهَّاب، في بيانِ أهلِ الحقِّ ومَن ضَلَّ عن الصَّواب» للشَّيخِ عبدِ ربِّه سُلَيمان.

٢٠. «نجمُ المهتدي، ورجمُ المُعتدي» لابنِ المُعلِّمِ القُرَشيِّ المِصريِّ.

٢١. «تبيينُ كَذِبِ المُفتري، فيما نُسِبَ إلى الإمامِ الأشعريِّ» للحافظِ ابنِ عساكِرَ.

٢٢. «أهلُ السُّنَّةِ الأشاعرة.. شَهادةُ عُلَماءِ الأمَّةِ وأدِلَّتُهم» للشيَّخ حمد السّنان والشَّيخ فوزي العَنْجَريّ.

٢٣. «المَدخَلُ لدراسةِ عِلمِ الكلامِ» للدُّكتور حسَنٍ الشَّافعيِّ.

٢٤. «مَناهِجُ عُلَمائنا في بِناءِ المَعرِفةِ» للدُّكتورِ محمَّد أبي موسى.

٢٥. «مُكوِّناتُ العقلِ المُسلِمِ» للدُّكتور عليٍّ جُمُعةَ.

٢٦. «عقيدتُنا» للدُّكتور محمَّد رَبيعٍ الجَوهَريِّ.

٢٧. «أخلاقُنا» للدُّكتور محمد رَبيعٍ الجَوْهَريِّ.

٢٨. «صفوةُ البيان، في معاني القرآن» للشَّيخِ حسنين محمَّد مخلوف.

٢٩. «الإسرائيليَّاتُ والموضوعاتُ في كتبِ التَّفسيرِ» للشَّيخِ محمد أبي شَهْبَةَ.

٣٠. «المختارُ من كنوزِ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» للدُّكتورِ محمَّد عبد الله دراز.

٣١. «السِّيرةُ النَّبويَّـةُ في ضوءِ القرآنِ والسُّـنَّةِ» للشَّيخِ محمَّدٍ أبي شَهْبَةَ.

٣٢. «وسائلُ الوصول إلى شَمائلِ الرَّسولِ» للنَّبهانيِّ.

٣٣. «الأذكارُ» للإمامِ النَّوويِّ.

٣٤. «الرَّسولُ المعلِّمُ ﷺ وأساليبُه في التَّعليمِ» للشَّيخِ عبدِ الفتَّاحِ أبي غُدَّةَ.

٣٥. «خُلُقُ المسلِمِ» للشَّيخ محمَّدٍ الغَزاليِّ.

٣٦. «حياةُ الصَّحابةِ» لمحمَّد يوسف الكاندهلويِّ.

٣٧. «تراجِمُ سيِّداتِ بيتِ النُّبوَّةِ» لعائشةَ بنتِ الشَّاطئِ.

٣٨. «حقائقُ الإسلامِ وشُبُهاتُ المُشكِّكِينَ» من مطبوعاتِ وزارةِ الأوقافِ المِصريَّةِ.

٣٩. «التَّحفةُ البَهيَّة، في طَبَقاتِ الشَّافعيَّة» للشَّرقاويِّ.

٤٠. «دلائلُ الخيراتِ وشوارقُ الأنوار، في ذِكرِ الصَّلاةِ على النَّبيِّ المختار» لمحمَّد بنِ سُليمان الجُزوليِّ، و«شرحُ الإمام محمد المهديِّ الفاسيِّ»، و«شرح العَلَّامةِ السِّجاعيِّ».

واستجابةً لتوجيهاتِ فضيلةِ الإمامِ الأكبرِ الأستاذِ الدكتورِ/ أحمد الطيب -شيخ الأزهر الشريف -حفظه الله -بضرورةِ نشرِ البحوثِ والأعمالِ العلميةِ التي تُسَاهِمُ في ربطِ الجمهورِ بعلومِ تُرَاثِهم، وفنونِ حضارتِهم باعتبارِه واجبَ الوقتِ الذي يُحَتِّمُهُ دَوْرُ الأزهرِ الشريفِ في صناعةِ الوعيِ الفكريِّ؛ رأت الأمانةُ العامةُ لمجمعِ البحوثِ الإسلاميةِ نَشْرَ هذا الكتاب، سائلين الله تعالىٰ الرحمة والمغفرة لمؤلِّفه الكريم، وأن يجزيه خير الجزاء علىٰ ما قدَّم.

وفي الختام، أسألُ اللهَ -تعالى- العونَ والسَّدادَ، والتَّوفيقَ لكلِّ خيرٍ، اللَّهُمَّ آمينَ.

وآخر دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خير الخلقْ أجمعين، سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ.د/ محمد عبد الدَّايم الجندي

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلاميَّة

تحريرًا في: ١٨ ربيع الآخر ١٤٤٦هـ

٢١ أكتوبر ٢٠٢٤م

وصف النسخة الخطية ومنهج العمل

أولًا- وصف النسخة الخطية:

الرسالة المذكورة بعنوان: «المتون العلمية وأثرها في التربية»، ومؤلفها: عبد الرحمن محمد صالح[1]، وهو بحث قدمه لقسم إجازة التدريس بكلية اللغة العربية سنة ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م، وهي نسخة خطية محفوظة بمكتبة كلية اللغة العربية، برقم خاص (٣٠٣)، ورقم عام (٢٩٧)، كتبها مؤلِّفُها بخط رقعي جيِّد، عدد صفحاته: ٤٩ صفحة، مرقَّمة ترقيم صفحات، مسطرتها تتراوح ما بين (٢١- ٢٤) سطرًا، ولكن عدد الأسطر في كثير من صفحاتها (٢٢) سطرًا: فرغ من كتابتها ١٢ من شهر ربيع الأول ١٣٥٦هـ الموافق ٢٦ من شهر مايو ١٩٣٧م.

ثانيًا -منهج العمل:

- نَسخ النصّ ومقابلته على نُسخته الخطِّيَّة.

(١) لم نقف للمؤلف على ترجمة في أيٍّ من المصادر المتاحة لنا، إلا ذاك الاسم المقتضب الوارد على غلاف الرسالة، والقسم الذي ينتمي إليه.

- ضَبط المُشْكِلِ من الكلمات، ووضَع علامات الترقيم المناسبة، بما يُعين علىٰ القراءة الصحيحة للنصِّ.

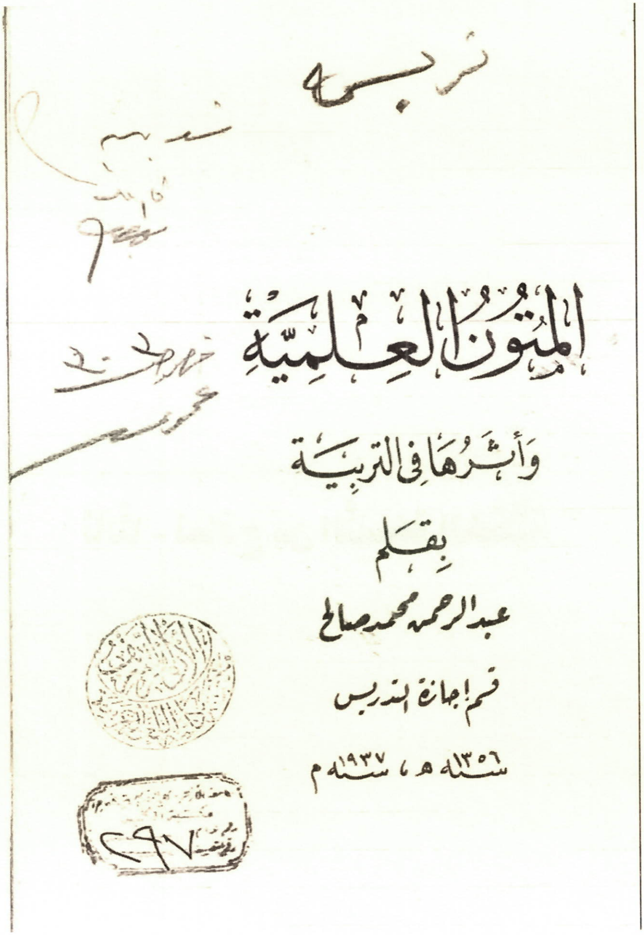
- إصلاح ما في النصِّ من أخطاء واضحة في المتن دون إشارة في الحاشية.

- تخريج الآيات القرآنية من الناشر الإلكتروني.

- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها المعتبرة.

- تخريج الأشعار، وتوثيق النُّقول الصريحة والمشار إليها من مصادرها الأصيلة، وإن تعذَّر كان العزو إلىٰ أقرب مصدر وسيط، مع وضع المصدر المشار إليه بين معكوفتين؛ تمييزًا لها عن إحالات المؤلف.

ثالثًا - نماذج من النُّسخة الخطِّيَّة


المتون العلمية

وأثرها فى التربية

بقلم

عبد الرحمن محمد صالح

قسم إجازة التدريس

سنة ١٣٥٦ هـ، سنة ١٩٣٧ م

صفحة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، سبحانه وتعالى علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي سلك الطريق الأقوم في هداية البشر، وعلى آله وصحبه الذين نهجوا منهجه وتدرجوا في مراقي الفلاح إلى أن بلغوا أقصى الكمال وسلم تسليما.

«أما بعد»

فلما كان مفروضا على طلبة التخصص للتدريس أن يكتبوا في الامتحان العام رسائل في مواضيع تتصل بالفنون التي تدرس لهم، وكان أهم ما يدرس لهم من تلك الفنون علوم التربية إذ هي المقصودة بالذات رأيت أن أجعل موضوع بحثي «المتون العلمية» مع صعوبة هذا الموضوع في نظري إذ لم يكن مطروقا من ذي قبل، ولقد اعتمدت في بحثي هذا على دراسة المتون أنفسها دراسة تحليلية بقدر ما أستطيع من جهد، وما أوفق إليه من صواب كي أكشف ناحية من نواحي الغموض التي تحيط بهذا الموضوع، وهي الناحية التربوية، ولأبين مقدار الصلة التي بينها وبين هذه المتون، وأثر دراستها في نفوس الناشئين وأثر استظهارها في عقولهم مستعينا في كل ذلك بما أتلقاه عن أساتذتي من الإرشادات الحكيمة، والآراء السديدة خصوصا حضرة المربي الفاضل الأستاذ زكي المهندس، والأستاذ المربي ابراهيم والي وقد رأيت أن أقسم بحثي إلى الفصول الآتية:

الصفحة الأولى

(٤٨)

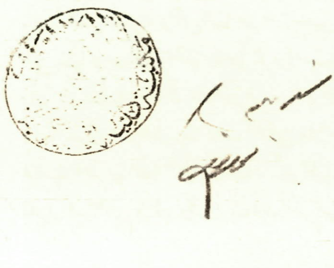
وأن يلبس لكل عصر لبوسه، كما أن من المسلم به بداهة أنه لو وضع لنا رجال ذوو كفاية ودين تتوافر فيهم الشروط التي سبق ذكرها كتبا للدراسة ملائمة لعقلية وبيئة من تدرس لهم هذه المتون. لو كان هذا لأغنانا عنها، ولوجب علينا أن نقرر دراستها بدلا عن دراسة هذه المتون.

أما نتيجة البحث فقد تبين رأينا جليا من خلال البحث وهو صلاحية هذه المتون للدراسة وملاءمتها لحال من تدرس لهم فلذلك لا أرى داعيا لتكريره وتخصيصه بعنوان مستقل مكتفيا بذلك.

إلى هنا انتهى ما أردت من البحث، وأرجو أن أكون قد وفقت بحول الله وقوته إلى الصواب فيما ذهبت إليه، وهو حسبي ونعم الوكيل، والحمد لله أولا وآخرا إنه نعم المولى ونعم النصير.

وكتبه الفقير إليه تعالى
عبد الرحمن محمد صالح

١٨ من ربيع الأول سنة ١٣٥٦هـ
٢٦ من مايو سنة ١٩٣٧م



الصفحة الأخيرة

نص الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي بنعمتِهِ تَتِمُّ الصالحاتُ، سبحانَهُ وتعالى عَلَمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ، والصلاةُ والسَّلامُ على سيدِنا محمدٍ الذي سلكَ الطريقَ الأقومَ في هدايةِ البشرِ، وعلى آلهِ وصحبِهِ الذين نهجوا منهجَه، وتدرَّجوا في مراقي الفلاحِ إلى أن بلغوا أقصى الكمالِ، وسلِّمْ تسليمًا.

«أما بعدُ»

فلمَّا كانَ مفروضًا على طلبةِ التَّخصصِ للتَّدريسِ أن يكتبوا في الامتحانِ العامِّ رسائلَ في مواضيعَ تتصلُ بالفنونِ التي تُدَرَّسُ لهم، وكانَ أَهَمَّ ما يُدَرَّسُ لهم من تلك الفنونِ علومُ التَّربيةِ؛ إذ هي المقصودةُ بالذاتِ رأيتُ أن أجعلَ موضوعَ بحثي: «المتون العلمية» مع صعوبةِ هذا الموضوعِ في نظري؛ إذ لم يكنْ مطروقًا من قبل، ولقدْ اعتمدتُ في بحثي هذا على دراسةِ المتونِ أنفسِها دراسةً تحليليةً بقدرِ ما أستطيعُ من جهدٍ، وما أوفقُ إليه من صوابٍ؛ كي أكشفَ ناحيةً من نواحي الغموضِ التي تحيطُ بهذا

الموضوعِ، وهي الناحيةُ التَّربويةُ، ولأبينَ مقدارَ الصلةِ التي بينها وبين هذه المتونِ، وأثرَ دراستِها في نفوسِ الناشئين، وأثرَ استظهارِها في عقولِهم مستعينًا في كلِّ ذلك بما أتلقاهُ عن أساتذتِي من الإرشاداتِ الحكيمةِ، والآراءِ السَّديدةِ خصوصًا حضرةَ المربي الفاضلَ الأستاذَ/ زكي المهندس، والأستاذَ المربي/ إبراهيم والي، وقد رأيتُ أن أقسمَ بحثي إلى الفصولِ الآتيةِ:

الفصلُ الأولُ:

الأمرُ الداعي إلى وضعِ هذه المتونِ، ويشملُ العناصرَ الآتيةَ:

(١) ضبطُ الموضوعاتِ، وجمعُ شتاتِ المسائلِ المتجانسةِ لسهولةِ تحصيلِها.

(٢) ترتيبُ الفكرةِ، ومسايرةُ القاعدةِ النفسيةِ (الإِجْمالُ ثم التَّفصيلُ).

(٣) تسهيلُ الحفظِ، وتوفيرُ الزَّمنِ على الطالبِ.

الفصلُ الثَّانِي:

أنواعُ المتونِ، وتشملُ ما يأتي:

(١) المتونُ النَّثريَّةُ، مميزاتُها، عيوبُها.

(٢) المتونُ النَّظميَّةُ، مميزاتُها، عيوبُها.

(٣) الموازنةُ بين النوعين.

الفصلُ الثَّالثُ:

أثرُ المتونِ في التَّربيةِ، وينتظمُ ما يأتي:

(١) كيفيةُ وضعِها ومناسبتُها لحالِ من تُدَرَّسُ لهم.

(٢) أثرُ دراستِها في نفوسِهم، وأثرُ استظهارِها في عقولِهم.

الخاتمةُ:

وتشتملُ على:

(١) نتيجةِ هذا البحثِ، والحكمِ الذي ينتهي إليه.

(٢) مناقشـةِ بعـضِ آراءِ مـن تعرضـوا لهـذه المتـونِ مـن ناحيـةٍ خاصةٍ.

(٣) كلمةٍ مجملةٍ عن التَّعليمِ الحديثِ.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

«الأمرُ الداعي لوضعِ هذه المتونِ»

الفَصْلُ الأَوَّلُ

تمهيدٌ:

كانَ تدوينُ الفنونِ، وكتابةُ العلمِ مهملًا في بَادِئِ الأَمرِ، بل كانَ ممنوعًا في صدرِ الإسلامِ؛ كي لا يختلطَ شيءٌ بالقرآنِ الكريمِ[1]، وذلك زمنَ الرسولِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جاءَ في صحيحِ مسلمٍ وغيرِهِ عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غيرَ القرآنِ، فليمحه...»[2]، وروى التِّرمذيُّ عن أبي سعيدٍ «اسْتَأْذَنَّا النَّبِيَّ ﷺ فِي الكِتَابَةِ فَلَمْ يَأْذَنْ لَنَا»[3].

---

(١) هنا ثلاث ملاحظات:

أولًا: الدليل لا ينتج المدعى، فالدليلان المذكوران غاية ما ينتجان النهي عن كتابة الحديث.

ثانيًا: إن كان يقصد كتابة الكتب في العلوم والفنون؛ فهذا لم يكن منهيًا عنه، ولا مطلوبًا أيضًا، فالصحابة في ذلك الحين كانت العلوم راسخة فيهم، لا يحتاجون لتدوينها.

ثالثًا: قد ثبت أمر النبي ﷺ بالكتابة؛ فقال: «**اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ**»، وكتب كتابًا لأهل اليمن، ومن كتبة الحديث سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص. والأمر يطول تفصيله.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، رقم الحديث: ٣٠٠٤، ٤/ ٢٢٩٨.

(٣) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في كراهية كتابة العلم، رقم الحديث: ٢٦٦٥، ٥/ ٣٨.

وكذلك الأَمرُ زمنَ الصحابةِ والتَّابعين، وإن لم يكنْ حرجٌ من الكتابةِ إلا أنَّهم لم يكتبوا؛ لأنَّهم كانوا في شغلٍ عن الكتابةِ بأمرِ نشرِ الدِّينِ، وسياسةِ الأمةِ، ولم تكنْ حاجةٌ إلى التَّدوينِ، بل كانَ الأمرُ بالعكسِ، فإنَّهم كانوا في غنًى عنه لتوفيرِ ملكةِ العلمِ، والحفظِ، ولاستغنائِهم بالقرآنِ الكريمِ والسُّنةِ النبويةِ عما عدَاها، وكانَ من السَّهلِ عليهم أخذُ كلِّ ما يحتاجون إليه من هذين المصدرين حَيْثُ كانتْ حاجاتُهم محدودةً، شأنَ كلِّ أمةٍ في أوَّل طورِها، ولطبيعةِ الحالِ كانَ القومُ عربًا بفطرتِهم، ولم تكنْ بهم حاجةٌ إلى وضعِ القواعدِ العربيةِ، وتدوينِ فنونِها المتشعبةِ، هكذا كانتْ الحالُ إلى أواخرِ الدَّولةِ الأمويةِ، أو إلى صدرِ الدَّولةِ العباسيةِ[1]، ثم طرأَ عليهم حالةٌ جديدةٌ، واشتدتْ حاجةُ النَّاسِ إلى التَّدوينِ من حَيْثُ إنَّ انتشارَ الإسلامِ في نواحي الأقطارِ اقتضى اختلاطَ العربِ

---

(١) كتابة الحديث الشريف استمرت في عصور الصحابة والتابعين ولم تنقطع، والتدوين الرسمي للسنة تم في عصر عمر بن عبد العزيز من خلفاء الدولة الأموية، وما يقال في نشأة النحو من أنه بتوجيه سيدنا علي بن أبي طالب لأبي الأسود الدؤلي فيه رد على ذلك، وعلم مما سبق أن التدوين نشأ في وقت مبكر عما ذكره المؤلف.

بالعجمِ، فتسببَ عن ذلك أن فقدتِ الأمةُ العربيةُ سليقتَها، وَخِيفَ على اللُّغةِ من الفسادِ، وطغيانِ العجمةِ عليها، فيصبحُ القومُ بمعزلٍ عن فهمِ كتابِ اللهِ تعالى، وسنةِ رسولِهِ الأكرمِ ﷺ.

ثم كثرةُ الحوادثِ المتجددةِ بِتَجَدُّدِ الأحوالِ اقتضتِ استنباطَ كثيرٍ من الأحكامِ، فنتجَ عن ذلك اختلافُ الآراءِ بسببِ اختلافِ وجهاتِ نظرِ المجتهدين، فكانَ كلُّ ذلك داعيًا إلى التَّدوينِ، ثم وُضِعَتِ الكتبُ في كلِّ علمٍ دعتِ الحاجةُ إليه، فكتبَ العلماءُ في السُّنةِ والفقهِ واللُّغةِ، ثم تَدَرَّجَ التَّدوينُ شيئًا فشيئًا إلى أن دونوا في كلِّ فنٍّ موسوعاتٍ وكتبًا مطولةً تَضُمُّ بين جوانِبِها شتاتَ المسائلِ المختلفةِ من شتَّى الموضوعاتِ المتباينةِ كما يرى ذلك من نظرَ إلى كتبِ الأقدمين. وليس من غرضِنا أن نتعرضَ لطريقةِ المتقدمين في التَّأليفِ، وبيانِ مزاياها وعيوبِها، بل إننا أَردنا أن نشيرَ إلى شيءٍ مما كانَ سببًا لجنوحِ المتأخرين إلى الاختصارِ.

ولنذكر لك مثالًا يوضِّحُ ما ذكرنا، انظرْ أيَّ كتابٍ لأحدِ

المتقدمين، مثل: مدونةِ الإمامِ سحنون(١) التي دوَّنَ فيها آراءَ الإمامِ مالكٍ(٢) برواياتِها عن ابنِ القاسم(٣)، تجدُ الكلامَ في موضوعٍ خاصٍّ يشتملُ على جملةِ مسائلَ من غيرِ هذا الموضوعِ، فمثلًا يبدأُ الكلامَ على الوضوءِ، وما يجبُ منه الوضوءُ، وما يصحُّ منه

(١) هو أبو سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي القيرواني: أصله من حمص اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في غيره، الفقيه الحافظ العابد والورع الزاهد، الإمام العالم الجليل المتفق على فضله وإمامته، أخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب، ولد في رمضان سنة ١٦٠هـ، توفي في رجب سنة ٢٤٠هـ وقبره بالقيروان معروف متبرك به.

(٢) هو أبو عبد الله مالك بن أنس، بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي: جده أبو عامر صحابي جليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهد المغازي كلها مع النبي ﷺ خلا بدرًا، ولد سنة ٩٣ هـ وتوفي سنة ١٧٩هـ.

(٣) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العُتقي المصري: الشيخ الصالح الحافظ الحجة الفقيه، أثبت الناس في مالك وأعلمهم بأقواله، صحبه عشرين سنة وتفقه به وبنظرائه، لم يرو واحد عن مالك الموطأ أثبت منه، وروى عن الليث وعبد العزيز ابن الماجشون ومسلم بن خالد وغيرهم. خرج عنه البخاري في صحيحه. أخذ عنه جماعة منهم أصبغ ويحيى بن دينار والحارث بن مسكين ويحيى بن يحيى الأندلسي وابن عبد الحكم وأسد بن الفرات وسحنون وجماعة. مولده سنة ثلاث وثلاثين أو ثمان وعشرين ومائة ومات بمصر في صفر سنة ١٩١هـ وقبره خارج باب القرافة قبالة أشهب، ترجمته عالية وفضائله جمة.

الوضوءُ، فتراه يأتي بكلامٍ يتعلقُ بصلاةِ الإنسانِ وفي ثوبِه دمٌ يسيرٌ، ويعلمُ بذلك أثناءَ الصلاةِ، هلْ يمضي في صلاتِهِ، ولا يبالي ألَّا ينزعَه...إلخ؟ وأمثالُ ذلك كثيرةٌ لأقلِّ مناسبةٍ.

وكذلك غيرُ «المدونةِ»، حتى كتبُ اللُّغةِ العربيةِ، بل لم يخلُ بعضُ المؤلفين من المتأخرين من هذا الخلطِ كابنِ الحاجبِ[1]؛ حَيْثُ قِيلَ عنه: إنَّه خلطَ النحوَ بعلمِ البيانِ والمعقولِ، قالَ: «وابنُ الحاجبِ هو الذي مزجَ النَّحْوَ بعلمِ البيانِ والمعقولِ»[2].

مثلُ هذا الخلطِ حدثَ في كتبِ اللُّغةِ من المتأخرين أيضًا كما فعلَ صاحبُ «اللسانِ»[3]؛ حَيْثُ جعلَ كتابَه هذا دائرةَ معارفٍ

(١) أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر يونس: المعروف بابن الحاجب المصري ثم الدمشقي ثم الإسكندري الفقيه الأصولي المتكلم النظار خاتمة الأئمة المبرزين الأخيار العلامة المتبحر إمام التحقيق وفارس الإتقان والتدقيق كان ركنًا من أركان الدين علمًا وعملًا. مولده سنة ٥٧٠هـ ومات بالإسكندرية في شوال سنة ٦٤٦هـ وفي حسن المحاضرة مات عن ٨٥ سنة.

(٢) الفكر السَّامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، ٢/ ٢٧١، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م ٢/ ٢٧١.

(٣) هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري توفي سنة ٧١١هـ.

يبحثُ في اللُّغةِ والقرآنِ والحديثِ والأدبِ والفقهِ والنَّحوِ والصرفِ، وهذا مما جعلَ كتابَه صعبَ التَّناولِ.

جاءَ ما يأتي عمن كتبَ تعريفَ هذا الكتابِ عندَ طبعِهِ ١٣٠٠هـ بالمطبعةِ البولاقيةِ: «قالَ الإمامُ محمدُ بنُ الطيبِ[١] مُحَشِّي القاموسِ[٢]: وهو عجيبٌ في نقولِهِ وتهذيبِهِ وتنقيحِهِ وترتيبِهِ، إلَّا أنَّه قليلٌ بالنسبةِ لغيرِهِ من المصنفاتِ المتداولةِ، وزاحمَ عصرُه عصرَ صاحبِ القاموسِ[٣] رَحِمَ اللهُ الجميعَ - ثم قالَ بعدَ ذلك: وسببُ قلتِهِ كبرُ حجمِهِ وتطويلُ عبارتِهِ، فإنَّه ثلاثونَ مجلدًا[٤]، فالمادةُ التي

(١) هو العلامة محمد بن الطيب بن محمد بن محمد بن موسى الشرفي الفاسي المالكي الشهير بابن الطيب نزيل المدينة المنورة الشيخ الإمام المحدث المسند اللغوي العالم العلامة المفنن أبو عبد الله شمس الدين، ولد بفاس سنة ١١١٠هـ، ونشأ بها، وتوفي بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠هـ.

(٢) يقصد كتاب القاموس المحيط. وللطيب الفاسي حاشية عليه، استفاد منها المرتضى الزبيدي في معجمه تاج العروس الذي شرح فيه القاموس المحيط.

(٣) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن إدريس بن فضل الله الشيرازي الفيروزآبادي القاضي مجد الدين أبو الطاهر إمام عصره في اللغة. توفي سنة ٨١٧هـ.

(٤) الطبعة البولاقية عشرون مجلدًا، والعدد المذكور في المتن هو عدد المخطوط =

تملأُ في القاموسِ صفحةً واحدةً تملأُ فيه أربعَ صفحاتٍ، بلْ أكثرَ؛ ولهذا عجزتْ طلبةُ العلمِ عن تحصيلِهِ، والانتفاعِ بِهِ، وبِالجملةِ فهو كتابُ لغةٍ ونحوٍ وصرفٍ وفقهٍ وأدبٍ، وشرحٍ للحديثِ الشريفِ، وتفسيرٍ للقرآنِ الكريمِ، يصدقُ عليه المثلُ: (إنَّ من الحسنِ لشقوةً))»[1].

هذه صراحةٌ جميلةٌ من هذا الكاتبِ يُشْكَرُ عليها، وإنصافٌ للحقيقةِ التي غَفَلَ عنها كثيرٌ ممن عابوا المختصراتِ العلميَّةَ، ولم يُنْصِفُوا مؤلفيها لكونِهم نظروا إليها من ناحيةٍ واحدةٍ، وسنعرضُ لمناقشتِهم في الختامِ إن شاءَ اللهُ.

=الذي اطلع عليه محمد بن الطيب الفاسي. ومن باب الفائدة أذكر أن تحديد عدد صفحات المجلد كان يتفاوت عبر الأزمنة، ففي بعض الأزمنة كان يطلقون المجلد على ما احتوى على (١٠) ورقات، وبعضهم على ما احتوى على (٢٠٠) صفحة. وبعضهم على ما احتوى على (٢٥٠) صفحة.

(١) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، ١/ ٦، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ. ومعنى المثل: أن الرجل ينظر إلى حسنه، فيَخْتَال فيَعْدُو طَوْرَه فيشقيه ذلك ويبغّضه إلى الناس.

بَلِ الأمرُ أعجبُ من هذا لو علمتَ أنَّ كتابَ القاموسِ الذي يُعْتَبَرُ كالربعِ من كتابِ اللسانِ أو أقلَّ من ذلك - كما يُعْلَمُ من عبارةِ الكاتبِ التي ذكرناها - أصبحَ لطولِهِ مما يَعْسُرُ على بعضِ أهلِ العلمِ طريقُ الكشفِ فيه، قالَ فضيلةُ الأستاذِ الكبيرِ المغفورِ له الشيخِ حسينِ والي (١) في خطابِ شكرٍ أرسلَه لمحمود بك خاطر (٢) يَشْكُرُهُ على صنيعِهِ من ترتيبِ القاموسِ على النَّحْوِ الذي

---

(١) هو الشيخ حسين بن حسين بن إبراهيم بن إسماعيل ابن وهدان والي، من سلالة عامر بن مروان الحسيني: فاضل، من أعضاء مجمع اللغة العربية بمصر. ولد في بلدة (ميت أبي عليّ) بالشرقية سنة ١٢٨٦هـ، وتخرج بالأزهر، ودرّس فيه ثم في مدرسة القضاء الشرعي، وعين مفتشًا عامًّا للأزهر والمعاهد الدينية، فوكيلًا لمعهد طنطا، فكاتبًا للسر العام في الأزهر، ثم كان من أعضاء هيئة كبار العلماء، فمن أعضاء مجلس الشيوخ، ومن أعضاء مجمع اللغة العربية. له كتب، منها: أدب البحث والمناظرة، والاشتقاق، ورسالة التوحيد، ورسائل الإملاء، توفي سنة ١٣٥٤هـ.

(٢) هو محمود خاطر (بك)، أديب مصري. كان من أعضاء المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية، وسكرتيرًا عامًّا لوزارة الزراعة ومديرًا للتعاون، فمديرًا لمطبعة بنك مصر. وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٦٧هـ. أول ما عرف من آثاره كتيب سماه: صيحة الترامواي، نشره وهو طالب، سنة ١٨٩٤م على أثر ابتداء (الترام) بمصر، ثم اشتغاله بكتاب: مختار الصحاح، وتحويله من تبويبه الأول، وكان على نسق القاموس، إلى الترتيب الحديث. وله كتب، منها: مئة حديث، ونهضة التعاون الزراعي بمصر، =

رَتَّبَ كتابَ «مختارِ الصحاحِ» عليه، قالَ: (إنَّه رأى بعينِه صعوبةَ الكشفِ على بعضِ أهلِ العلمِ حتى أدى بهم الحالُ إلى الحكمِ بعدمِ وجودِ الكلمةِ التي أرادوها في القاموسِ مع وجودِها فيه قطعًا).

فهذا أمرٌ غريبٌ كما نراه،سببُهُ عدمُ درايةِ كيفيةِ الكشفِ، وعدمُ العلمِ بطرقِهِ؛ حَيْثُ إنَّ الأستاذَ الشيخَ والي ذكرَ أنَّ الكلمةَ موجودةٌ في القاموسِ، والسَّببُ في هذا الجهلِ طبعًا قصورُ الهمةِ التي قعدتْ بهم عن ممارسةِ مثلِ هذا الكتابِ، وإذًا فماذا تكونُ الحالُ إذا كانتْ كتبُ العلمِ كلُّها على هذا النَّحوِ من البسطِ والتَّطويلِ أو أكثرَ بسطًا وتطويلًا؟

كلُّ هذه الأمورِ مجتمعةً دعتِ المؤلفين أَن ينحوا مَنْحًى آخرَ، وأن يسلكوا سبيلًا غيرَ ذلك، فوضعوا في الفنونِ المختلفةِ مختصراتٍ عُرِفَتْ بالمتونِ العلميَّةِ.

=والتعاون طبيعة في الخليقة. ووهب مكتبته الخاصة وهي ١٦٨٢ مجلدًا، لجامعة القاهرة. وخص الجامعة بأصول كتابه: مختار القاموس للفيروزآبادي، وترك لها أمر طبعه. وله نظم لا بأس به.

[الأسباب الداعية لتأليف المختصرات]

ويمكنُ إجمالُ الأمورِ التي دَعَتْهُمْ إلى وضعِ تلك المختصراتِ في العناصرِ الآتيةِ: ليتمكنَ الناظرُ إليها من تبيانِ الغاياتِ التي دَفَعَتْهُمْ إلى ذلك بكلِّ وضوحٍ، ولنستطيعَ أن نبينَ كلَّ عنصرٍ على حِدَةٍ، وإليك تلك العناصرَ:

(١) ضبطُ الموضوعاتِ، وجمعُ شتاتِ المسائلِ المتجانسةِ لسهولةِ تحصيلِها.

(٢) ترتيبُ الفكرةِ، ومسايرةُ القاعدةِ النفسيةِ «الإجمالُ ثم التَّفصيلُ».

(٣) تسهيلُ الحفظِ، وتوفيرُ الزَّمنِ على الطالبِ.

من ينظرْ إلى هذه الأمورِ كلِّها بنظرِ الاعتبارِ وشيءٍ من الإنصافِ يرها كلَّها من الأمورِ المهمةِ التي لا يُغْفَلُ عنها، بل إنَّها مما تُحَتِّمُ التَّربيةُ الحديثةُ اعتبارَها، وَيُعْلَمُ بذلك نبلُ غرضِ هؤلاء المؤلفين، وشرفُ غايتِهم، وأنَّهم بريئون مما يرميهم به بعضُ النَّاسِ من سوءِ القصدِ نحوَ التَّعليمِ، وإساءةِ المتعلمينَ.

[تفصيل الأسباب الداعية لتأليف المختصرات]

يجدرُ بنا الآنَ أن نبينَ تلك الأمورَ التي حملتِ العلماءَ على وضعِ هذه المتونِ في بسطٍ من القولِ:

(١) ضبطُ الموضوعاتِ، وجمعُ شتاتِ المسائلِ المتجانسةِ لسهولةِ التَّحصيلِ:

سبقَ أن ذكرنا أنَّ المتقدمينَ وضعوا موسوعاتٍ في كلِّ الفنونِ تشتملُ بحوثُ كلِّ فنٍّ على مختلفِ المسائلِ من شتَّى الموضوعاتِ من غيرِ مراعاةِ ترتيبٍ، ولا ملاحظةِ تنسيقٍ، ولا جمعٍ للنظائرِ إلى أشباهِها.

ولمَّا تأخرَ الزَّمنُ بالنَّاسِ، وقَصُرَتِ الهممُ، وضَعُفَتِ العزائمُ، وعجزَ النَّاسُ عن تحصيلِ العلومِ، ووَهَنَتْ قواهم عن الاستفادةِ من تلك الكتبِ المطولةِ أرادَ أهلُ الهممِ العاليةِ من العلماءِ أن يضعوا مؤلفاتٍ تتناسبُ هي وحالةَ الزَّمنِ، ويسايرُ أهلَه، ويسهلُ عليهم تحصيلُ العلومِ، فعنوا بضبطِ الموضوعاتِ وحصرِها قبلَ كلِّ شيءٍ؛ وذلك بأن ميزوا موضوعَ كلِّ فنٍّ وحددوا ما يدخلُ

تحتَ بحوثِهِ من المسائلِ، كي لا يشتملَ على مسائلَ من فنٍّ آخرَ، وبذلك أصبحَ كلُّ فنٍّ مستقلًّا متميزًا محدودًا بحدودِه بحيثُ لا يتعثرُ الطالبُ بين جنباتِ بحوثِهِ حين يُقْدِمُ على البحثِ فيه، ولا يَصْعُبُ على مريدِ الكشفِ عن مسألةٍ الحصولُ على مطلبِهِ، فإذا أرادَ أيَّ مسألةٍ من مسائلِ الفنِّ طلبَها في مظانِّها ووجدَها حينَئِذٍ.

وبهذا أمكنَهم أن يتجنبوا أسبابَ الصعوبةِ التي كانَ يلاقيها المتعلمونَ في كتبِ الأقدمين، والتي كانتْ حائلًا قويًّا، وسدًّا منيعًا دونَ الاستفادةِ؛ من حيثُ إن الباحثَ كانَ يلقى من شتاتِ الفكرِ، وتَشَّعُبِ المسلكِ ما يدعوه إلى العدولِ عن البحثِ، وخصوصًا في مثلِ هذه الأوقاتِ التي كثرتْ مشاغلُ النَّاسِ، وقلَّ الجلدُ في البحثِ، وأيضًا لو أرادَ الكشفَ عن مسألةٍ ربما طلبَها في مظانِّها، ولم يظفرْ بها، وربما وجدَها عن طريقِ المصادفةِ في غيرِ مظانِّها وُضِعَتْ في هذا المكانِ لأدنى مناسبةٍ.

يجبُ على كلِّ باحثٍ يعالجُ موضوعًا كهذا الموضوعِ أن يُلقيَ نظرةً صادقةً على مثلِ هذه الأمورِ، ممعنًا النظرَ فيها.

رُبَّ قائلٍ يقولُ: إنَّ البحثَ في كتبِ الأقدمين مع ما فيه من التَّطويلِ وتشتيتِ المسائلِ أجدى للباحثين، وأنفعُ للطلبةِ، من حيثُ إنَّهم يحصلون على فوائدَ عظيمةٍ يستفيدونها أثناءَ بحثِهم عن مسألةٍ بعينِها لا يمكنُ الحصولُ على مثلِها عن طريقِ هذه المختصراتِ.

ونحنُ نقولُ له: نعم. قد يكونُ هذا، ولكنْ من أين نضمنُ تحقيقَ البحثِ العلميِّ على وجههِ الصحيحِ؛ بحيثُ يكونُ مفيدًا من دقةِ النظرِ والإمعانِ في البحثِ بكلِّ صبرٍ وتجلدٍ حتى يستفيدَ الباحثون تلك الفوائدَ التي ذكرتم تحقيقَها عن طريقِ المطولاتِ، وخصوصًا مع ضعفِ العزيمةِ وقصورِ الهمةِ، كما ذكرنا، بل رُبَّمَا كانَ الأمرُ داعيًا إلى تَشْتِيتِ الذِّهْنِ، صادًّا عن البحثِ، وباعثًا إلى اليأسِ من الإلمامِ بهذه المسائلِ التي تدعو الحاجةُ إليها.

على أن كثرةَ الفنونِ المتباينةِ، والتي يحتاجُ إليها النَّاسُ أصبحتْ مما يضطرُ النَّاسُ معه إلى توزيعِ أوقاتِهم لتحصيلِ الضروريِّ منها، والإلمامِ بالمهمِّ من مسائلِ هذه العلومِ المتكاثرةِ، وهذا ينافي دراسةَ الموسوعاتِ والمطولاتِ، حيثُ لا يتسعُ الزَّمنُ لدراستِها والإحاطةِ بمسائلِها؛ لأنَّها تحتاجُ إلى صبرٍ في البحثِ، وتَوَفُّرٍ في الدَّرسِ؛ كي يتمكنَ الإنسانُ من الإحاطةِ على الوجهِ الذي ينبغي، وحالةُ الدَّرسِ فيما مضى يختلفُ عنها الآنَ؛ حَيْثُ إنَّ الطالبَ كانَ يَتَوَفَّرُ على البحثِ في ناحيةٍ خاصةٍ كدراسةِ اللُّغةِ أو الفقهِ أو الحديثِ.

وأدلُّ دليلٍ على هذا أننا نجدُ كثيرًا من علماءِ الحديثِ ليسوا بفقهاءَ، مع أنَّ الحديثَ أصلٌ للفقهِ؛ لأنَّ استنباطَ الأحكامِ يحتاجُ إلى مؤهلاتٍ أخرى يجبُ تَوَفُّرُهَا على الوجهِ الأكملِ، وكذلك نجدُ أكثرَ علماءِ العربيةِ لم يكونوا من عدادِ المحدثين أو الفقهاءِ، وما ذلك لأنَّ من اتَّجَهَ لدراسةِ موضوعٍ اقتصرَ عليه من غيرِ خلطٍ بغيرِهِ، وهذا إنَّما هو الغالبُ فلا ينافي أنَّ بعضَ العلماءِ قد نبغوا في

أكثرَ من فنٍّ واحدٍ، حتى أصبحَ المرجعُ إليه في علومٍ شَتَّى، ثم شيءٌ آخرُ يجبُ ألا نغفلَ عنه، وهو أنَّ الناشئين لا يمكنُ أن يُدَرَّسَ لهم الكتبُ المطولةُ من بَادِئِ الأمرِ، بل لا بُدَّ من أن يُقَدَّمَ لهم شيءٌ مما يناسبُ حالتَهم العقليةَ، ثم يُتَدَرَّجَ بهم شيئًا فشيئًا إلى أن يتأهلوا لدراسةِ هذه المطولاتِ، فيأتي حِينَئِذٍ دورُ التَّخصصِ، فيتخصصون كما يريدون. ولا شأنَ لبحثِنا هذا بدورِ التَّخصصِ، وإنَّما نريدُ الكلامَ على أيِّ صفةٍ يجبُ أن تكونَ كتبُ دراسةِ المبتدئين، وهل هذه المتونُ العلميَّةُ صالحةٌ لأن تكونَ كتبَ دراسةٍ لهم؟ هذا من ناحيةِ ضبطِ الموضوعاتِ.

وأما من حيثُ جمعُ المسائلِ إلى نظائرِها فلا يكفي لتحقيقِه أن يكونَ الفنُّ قد حُدِّدَ بحدودٍ تميزُه، وأن يكونَ قد ضُبِطَتْ موضوعاتُهُ لجوازِ أن تُخْلَطَ مسائلُهُ، ولا يُعْنَى بترتيبِها وتنسيقِها، وإذًا فلا بُدَّ من العنايةِ بجمعِ شتاتِ المسائلِ المتجانسةِ؛ ولذلك عنوا أيضًا بوضعِ المسائلِ التي تكونُ من نوعٍ واحدٍ في بابٍ خاصٍّ بها أو فصلٍ كذلك، ويضعون لها عنوانًا خاصًّا يَدُلُّ على أنَّ هذا

البابَ أو هذا الفصلَ يحتوي عليها، وهذا مما يُوَفِّرُ على الطالبِ زمنَه، ويُسَهِّلُ عليه الطريقَ إلى هذه المسائلِ، وتعينُه على تحصيلِها من غيرِ مشقةٍ كبيرةٍ، ويُسَهِّلُ على مريدِ الكشفِ عن مسألةٍ أيضًا طريقَ الكشفِ، والمتعلِّمُ في حاجةٍ شديدةٍ إلى كلِّ ما يُسَهِّلُ عليه التَّعليمَ.

(٢) ترتيبُ الفكرةِ، ومسايرةُ القاعدةِ النفسيةِ: «الإجمالُ ثم التَّفصيلُ»:

أما ترتيبُ الفكرةِ، فهو أمرٌ مُهِمٌّ يُعْنَى به علماءُ التربيةِ جِدَّ العنايةِ؛ وذلك مسايرةً للقاعدةِ النفسيةِ: «الإجمالُ ثم التَّفصيلُ»، ومعنى هذا أنَّ الأشياءَ تكونُ مجملةً أوَّلَ الأمرِ، ثم تُفَصَّلُ، وتُحَلَّلُ إلى أجزائِها؛ ولذلك يقررُ علماءُ علمِ النفسِ أنَّ الإنسانَ يدركُ حقائقَ الأشياءِ مجملةً، ثم يدركُها مفصلةً، وهذا أثرٌ من آثارِ الكونِ الذي أوجدَه اللهُ تعالى في مظاهرِه، فإننا نرى أربابَ الصنائعِ إذا ما أرادوا صنعةَ أيِّ شيءٍ يضعون له شكلًا إجماليًّا ثم يفصلونه إلى أجزائِه ودقائقِهِ كما يريدون.

وعلى هذا المثالِ أيضًا إيجادُ اللهِ تعالى لهذه الكائناتِ كلِّها، وهذه المخلوقاتِ على اختلافِ أنواعِها، كما ينبئُنا القرآنُ الكريمُ، قالَ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[الأنبياء: ٣٠]، قالَ البيضاويُّ(١) في تفسيرِ هذه الآيةِ: «كانتا شيئًا واحدًا، وحقيقةً متحدةً ففتقناهما بالتَّنويعِ والتَّمييزِ. اهـ»(٢).

وكذلك خلقُه تعالى للإنسانِ، فإنَّه تعالى خلقَه من نطفةٍ جعلَها قطعةً من اللحمِ، ثم جعلَ منها عظامًا، ثم كسا العظامَ لحمًا، ثم جعلَه إنسانًا كاملًا يتمثلُ فيه هذا الخلقُ العظيمُ البديعُ، والصنعُ الدقيقُ الذي يَحارُ فيه العقلاءُ، ويُدْهَشُ له ذوو الألبابِ لما احتوى

---

(١) هو القاضي عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير، قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي، كان إمامًا مبرِّزًا نظارًا خيرًا صالحًا متعبدًا، صنف: طوالع الأنوار، والمنهاج في الأصول، والمصباح، ومختصر الكشاف، والغاية القصوى في الفقه، ومختصر الوسيط، توفي سنة ٦٨٥هـ، وقيل: سنة ٦٩١هـ.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، ٤/ ٥٠، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ.

عليه من الأجزاءِ الدقيقةِ، والتَّراكيبِ الغريبةِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، يشيرُ إلى تطويرِ خلقِ الإنسانِ مثلَ هذا التَّطوُّرِ الغريبِ ما جاءَ في سورةِ المؤمنون، قالَ تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤].

ومما يبينُ لنا هذه القاعدةَ بجلاءٍ حالةُ الطفلِ الصغيرِ، هذه الحالةُ التي تلاحظُها عليه في أوَّلِ تعقلِه الأشياءَ، فإنَّك لو أمرتَ طفلًا في سنِّ الرَّابعةِ مثلًا بأن يصورَ لك رجلًا كنت ترى العجبَ العجابَ؛ إذ إنّه ما كانَ يزيدُ على أن يخطَّ خطًّا رأسيًّا ينقسمُ إلى فرعين من أسفلِهِ وله فرعانِ من أعلاه، وتجدُه أنَّهُ لا يدركُ تلك الأجزاءَ الدقيقةَ من جسمِ الإنسانِ كالرأسِ، والأذنين والعينِ والأنفِ، وكلِّ ما إلى ذلك.

وأيضًا نلاحظُ أنَّ الطفلَ الصغيرَ لا يكادُ يميزُ أباه من أمِّهِ في الأشهرِ الأولِ من حياتِهِ، ولا سببَ لذلك إلَّا أنَّه يدركُ هذه الشخصياتِ إدراكًا كليًّا عندما يبدأُ في الإدراكِ؛ لأنَّه يدركُ الأشياءَ حينئذٍ كوحدةٍ كُلِّيَّةٍ.

ومما يؤيدُ ذلك،التَّجاربُ التي أجريتْ في بعضِ الحيواناتِ كالقطِّ مثلًا، فإنَّه وَضِعَ في قفصٍ مربعٍ على شكلِ صندوقٍ له بابٌ من جانبٍ واحدٍ يُفْتَحُ بواسطةِ خيطٍ يشيرُ إلى أسفلَ وبجوارِهِ خيوطٌ أخرى، فما كانَ من هذا القطِّ إلا أن عالجَ كثيرًا من الطرقِ للخروجِ من هذا السِّجنِ حتى صادفَ أنَّ شدَّ هذا الخيطَ فَفُتِحَ البابُ عندئذٍ، وتَمَكَّنَ من الخروجِ منه، ثم أُعِيدَ مرةً أخرى إلى حبسِهِ هذا، فسلكَ السَّبيلَ الذي سلكَه في المرةِ الأولى حتى فتحَه عن طريقِ المصادفة، اسْتَدَلَّ العلماءُ بهذه التَّجربةِ على أنَّ هذا القطَّ إنما أدركَ الموقفَ إدراكًا كُلِّيًّا، وإلا لما عادَ إلى المحاولاتِ التي قامَ بها أوَّلَ مرةٍ فيما بعد، بل كانَ الواجبُ أن يذهبَ، ويَشُدَّ الخيطَ الذي يفتحُ الصندوقَ، يَشُدُّهُ مباشرةً.

لهذا كانَ لزامًا على من يضعُ مؤلَّفًا تَدْرُسُهُ الناشئةُ أن يسايرَ هذه القاعدةَ، وأن يراعيَ في ترتيبِ الفكرةِ وتأليفِ الأجزاءِ هذه السُّنةَ بأن يجعلَه مجملًا ثم يُفَصِّلُه على حسبِ الحاجةِ، وأن يرتبَه ترتيبًا منطقيًّا؛ بحيثُ يكونُ كلُّ جزءٍ كالنتيجةٍ لسابقِه، وذلك بقدرِ الإمكانِ لتكونَ المعلوماتُ المدونةُ أشبَّهَ بسلسلةٍ متصلةِ الحلقاتِ؛ لأنَّ ذلك أدعى لتثبيتِ المعلوماتِ في أذهانِ المتعلمين.

ويجبُ عليه أيضًا أن يراعيَ في صوغِ عباراتِه سهولةَ اللُّغةِ مع فصاحتها، وصحةِ المادَّةِ، وأن يَتَدَرَّجَ من المعلومِ إلى المجهولِ، ومن الصعبِ إلى السَّهلِ، ومن المحسوسِ إلى المعقولِ، ومن الأمثلةِ الجزئيَّةِ إلى القاعدةِ الكلِّيَّةِ، ومن المعلوماتِ العامَّةِ إلى المعلوماتِ الخاصَّةِ، كما ترشدُ إلى كلِّ ذلك القواعدُ الأساسيةُ للتربيةِ.

ويجبُ عليه أيضًا أن يُعْنَى بوضعِ الأفكارِ المتشابهةِ، بعضُها بجوارِ بعضٍ؛ كي تجدَ سبيلًا لأخذِ مكانِها من عقولِ الطلبةِ، حيثُ إنَّ كلَّ فكرةٍ سابقةٍ تجذبُ ما يشاكلُها لتَحُلَّ بجوارِها، كما أنَّها

تعملُ لمطاردةِ ما يباينُها وتتنافرُ معها، فترتيبُ الأفكارِ في الخارجِ مما يعينُ الطالبَ على تَفَهُّمِ الموضوعِ بسهولةٍ، ويساعدُه على تثبيتِ معلوماتِهِ، وهذا ما فعلَه واضعو المتونِ العلميَّةِ بقدرِ ما وفقوا، وسنرى تحقيقَ ذلك ـ إن شاءَ الله ـ عندَ الكلامِ عن كيفيةِ وضعِ هذه المتونِ بإيرادِ أمثلةٍ متعددةٍ من هذه المؤلَّفاتِ، حتى يَتَمَكَّنَ القارئُ من الحكمِ على صحةِ هذه الدعوى، ولا يفوتنا أن نذكرَ شيئًا من تلك الأمثلةِ على سبيلِ العجلةِ، إذا نظرَ الإنسانُ إلى المتونِ العلميَّةِ التي تتناولُها الطلبةُ لدراستِها وجدَ ما يُحَقِّقُ أغراضَ التَّربيةِ إلى حدٍّ ما، وخصوصًا الأمورَ المهمةَ التي سبقَ ذكرُها كالإجمالِ ثم التَّفصيلِ... إلخ.

انظرْ مثلًا ما كتبَه صاحبُ «متنِ الآجروميَّةِ»(١) في علمِ النَّحْوِ في موضوعِ الكلامِ عند علماءِ هذا الفنِّ، فإنه قالَ في أوَّلِ مؤلفِهِ:

---

(١) هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن دَاوُد بن آجروم الصنهاجي، ولد سنة ٦٧٢هـ في السنة التي توفي فيها ابن مالك الطائي صاحب الألفية، توفي سنة ٧٢٣هـ، وكتابه الآجرومية نافع مفيد.

«الكلامُ هو اللفظُ المركبُ المفيدُ بالوضعِ، وأقسامُه ثلاثةٌ: اسمٌ، وفعلُ، وحرفٌ جاء لمعنى»[(١)].

وقالَ صاحبُ «متنِ الأزهريةِ»[(٢)] في الموضوعِ نفسِهِ: «الكلامُ في اصطلاحِ النحويين عبارةٌ عما اشْتَمَلَ على ثلاثةِ أشياءٍ، وهي: اللفظُ، والإفادةُ، والقصدُ»[(٣)]، انظرْ كيف زادتْ عبارتُه على عبارةِ «الآجروميةِ».

(١) شرح الآجرومية، أحمد زيني دحلان، ص ٦، تحقيق: الدكتور صلاح أبو الحاج، الناشر: مركز العلماء العالمي للدراسات وتقنية المعلومات، الطبعة الأولى.

(٢) هو خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد، وصنف شرحاً على أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، وهو المشهور بالتوضيح، وإعرابًا على الألفية لابن مالك، وشرحًا على الآجرومية، وآخر على قواعد الإعراب لابن هشام، وآخر على الجزرية في التجويد، وآخر على البردة، والمقدمة الأزهرية، وشرحها، وكثر النفع بتصانيفه لوضوحها، توفي سنة ٩٠٥هـ.

(٣) شرح الأزهرية، ص ٣، الناشر: المطبعة الكبرى ببولاق، القاهرة.

وقالَ صاحبُ «متنِ القطرِ»[1] في الموضوعِ عينِهِ: «والكلامُ لفظٌ مفيدٌ، وأقلُّ ائتلافِهِ من اسمين كـ: زيدٌ قائمٌ، أو فعلٍ واسمٍ كـ: قامَ زيدٌ»[2].

يدركُ الناظرُ لهذه الأمثلةِ أنَّ بين هذه المؤلفاتِ تدرُّجًا ما، من السَّهلِ إلى الصعبِ، ومن الإجمالِ إلى التَّفصيلِ بقطعِ النَّظرِ عن سهولةِ تلك المؤلفاتِ وصعوبتِها في ذاتِها، فذلك مما سنعرضُ له بعد، ونبينُ حقيقتَه، وهل هذه المتونُ ملائمةٌ لحالِ من تُدَرَّسُ لهم؟ عند الكلامِ على المتونِ في الفصلِ الآتي.

---

(١) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام الأنصاري، الإمام النحوي المشهور، ولد سنة ٧٠٨هـ، من تصانيفه: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وعمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب، ورفع الخصاصة عن قراء الخلاصة، وشذور الذهب، والإعراب عن قواعد الإعراب، وقطر الندى، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ونزهة الطرف في علم الصرف، وموقد الأذهان في الألغاز النحوية، توفي سنة ٧٦١ هـ.

(٢) متن قطر الندى وبل الصدى، ص ٥، الناشر: دار العصيمي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

(٣) تسهيل الحفظ:

أما تسهيلُ الحفظِ على مريديه فحقيقةٌ يكادُ يكونُ أمرُها ملموسًا، ذلك أنَّ حفظَ متنٍ من هذه المتونِ في أيِّ فنٍّ أيسرُ وأسهلُ بكثيرٍ من حفظِ المطولاتِ، وأظنُّ أنَّ هذا يُسَلَّمُ به بداهةً، وخصوصًا بعد طروءِ الحالةِ التي سبقَ شيءٌ من وصفِها كقصورِ الهمةِ، وضعفِ الإرادةِ، وفقدانِ العزيمةِ؛ حَيْثُ إنَّ النَّاسَ ملتْ نفوسُهم وخارتْ قواهم، وعجزتْ عن الإحاطةِ بهذه المطولاتِ، بل صُرفوا عن قراءتِها مجردةً عن التَّحصيلِ والحفظِ، كما كانتِ الحالةُ لدي المتقدمين؛ إذ إنَّهم كانوا لا يجدون شيئًا من الصعوبةِ في التَّحصيلِ والحفظِ لجودةِ أذهانِهم، وتَوَقُّدِ ذكائِهم، وقوةُ عزائمِهم، حتى كانَ الواحدُ منهم يضربُ به المثلُ في كلِّ ذلك، وبالأخصِّ قوةَ الحفظِ؛ ذلك لأنَّ الواحدَ منهم كانَ يحفظُ الموضوعَ الذي يتلى عليه بمجردِ سماعِه مرةً واحدةً، ولا يطلبُ إعادتَه عليه، قالَ الشعبيُّ[1] -على سعةِ علمِه وكثرةِ محفوظاتِه:

---

(١) هو عامر بن شراحيل أبو عمرو الشعبي من شعب همدان علامة أهل الكوفة، ولد =

«مَا كَتَبْتُ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَلا حَدَّثَنِي رَجُلٌ بحديثٍ قَطُّ إِلا حَفِظْتُهُ، وَلا أَحْبَبْتُ أَنْ يُعِيدَهُ عليّ»[1].

ومثلُه الإمامُ محمدُ بنُ شهابٍ الزهريُّ[2] الذي قلَّ أن يوجدَ مثلُه في اتِّساعِ المعلوماتِ، سألَه مالكٌ أكنتَ تكتبُ العلمَ؟ قالَ: لا. قالَ: فقلتُ: أكنتَ تسألُهم أن يعيدوا عليك الحديثَ؟ فقالَ: لا. وثَبُتَ عنه أنَّه قالَ: «مَا اسْتَوْدَعْتُ قَلْبِي عِلْمًا فَنَسِيتُه»[3].

=في وسط خلافة عمر بن الخطاب وروى عن علي يسيرًا وعن المغيرة بن شعبة وعمران بن حصين وعائشة وأبي هريرة وجرير البجلي وعدي بن حاتم وابن عباس ومسروق وخلق كثير، توفي سنة ١٠٤هـ.

(١) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ٣، ٧٠، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

(٢) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث ابن زهرة الزهري أحد الفقهاء والمحدثين، والأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة رضوان الله عليهم، وروى عنه جماعة من الأئمة: منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري، توفي سنة ١٢٤هـ.

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي، ٣/ ٤٤٩.

وقضيةُ أبي هريرةَ مع مروانَ بنِ الحكمِ[1] معلومةٌ؛ وذلك أنَّه أحضرَه يومًا، واستملاه فأملى أحاديثَ كثيرةً، والكاتبُ يكتبُ وراءَه؛ بحيثُ لا يراه، وبعدَ سنةٍ استحضره واستملاه تلك الأحاديثَ، فأملاها بلفظِها لم يغيّرْ منها حرفًا. وقد ثَبُتَ عنه في الصحيحِ أنَّه قالَ: «ما من أصحابِ النبيِّ ﷺ أحدٌ أكثرُ حديثًا عنه مني، إلا ما كانَ من عبدِ اللهِ بن عمرٍو، فإنَّه كانَ يكتبُ ولا أكتبُ»[2]، وأمثالُ هذا كثيرٌ.

ومعلومٌ أنَّ فعلَ مروان مع هذا الصحابيِّ الجليلِ إنَّما هو للتثبتِ من صحةِ حفظِهِ؛ لأنَّه كانَ مشهورًا بكثرةِ الحفظِ بين الصحابةِ رضوانُ اللهِ عليهم أجمعين.

---

(١) هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه أم عثمان وهى آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية، هو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص، وإليه ينسب (بنو مروان) ودولتهم (المروانية). ولد بمكة سنة ٢هـ، ونشأ بالطائف، ومدة حكمه تسعة أشهر و ١٨ يوما، توفي سنة ٦٥هـ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم الحديث: ١١٣، ١/ ٣٤. وفي هذا الحديث رد على المؤلف نفسه فيما سطره في أول الفصل من المنع من كتابة العلم.

ومما يُلاحِظُ الإنسانُ في نفسِهِ أنَّه كانَ من السَّهلِ عليه حفظُ هذه المتونِ أيامَ طفولتِهِ وبدايةِ أمرِه في التَّعليمِ غيرَ أنَّه أصبحَ من الصعبِ عليه وهو في المرحلةِ الأخيرةِ من التَّعليمِ الاطلاعُ على بعضِ المطولاتِ، وإذا أرادَ ذلك كانَ لا بُدَّ أن يأخذَ نفسَه بالعلاجِ والمرانِ حتى يُعَوِّدَهَا ذلك؛ كي يتسنى له ما أرادَ، وقلَّ من يعاني مثلَ هذه الصعوباتِ، وما أكثرَ شكوى طلبةِ الكلياتِ من بعضِ المؤلفاتِ المطولةِ نسبيًّا ولو كانتْ مما لا يدخلُ ضمنَ تلك المبسوطاتِ التي نحنُ بصددِ الحديثِ عنها، وما ذلك إلَّا لضعفِ العزيمةِ، وضيقِ الوقتِ، فإذًا لا بُدَّ من هذه المختصراتِ، ولا غِنَى عنها بحالٍ.

الفَصْلُ الثَّانِي

«أنــواعُ المتــونِ»

الفَصْلُ الثّانِي

أنواعُ المتونِ

وتشملُ ما يأتي:

أولًا: المتونُ النَّثريَّةُ، محاسنُها، عيوبُها.

ثانيًا: المتونُ النَّظميَّةُ، محاسنُها، عيوبُها.

ثالثًا: الموازنةُ بين النوعين.

المتونُ العِلْمِيَّةُ: مؤلفاتٌ مختصرةٌ دونتْ في القواعدِ العِلْمِيَّةِ على اختلافِ أنواعِها سواءً أكانت مختصرةً أم وضعتْ بادِئَ ذي بدءٍ، والقسمُ الأولُ هو الغالبُ فيها، ويرجعُ تاريخُها إلى القرنِ السَّادِسِ الهجريِّ تقريبًا لشيوعِ المختصراتِ بكثرةٍ في هذا الوقتِ، أما قبلَ ذلك فلم يكنْ بالأمرِ الذي يُعْنَى به.

يريدُ واضعُ المتنِ بعملِهِ هذا أن يُثْبِتَ أساسًا في أذهانِ المتعلمين يدورُ حولَه التَّفْصِيلُ، فالمتنُ هو الدعامةُ التي تقومُ عليها الملكةُ،

والأساسُ الذي يقومُ عليه البناءُ، والهيكلُ العظميُّ الذي يكونُ قوامَ الفنِّ، ثم يأتي عليه الشرحُ كاللحمِ والشحمِ، فيختلفُ سمنًا وهزالًا على حسب ما يريدُ شارحُه، أو على حسب ما تتوقفُ عليه الحاجةُ.

وتنقسمُ إلى نثريَّةٍ، ونظميَّةٍ، ولكلٍّ من القسمين محاسنُ ومثالبُ نثبتُ هنا ما نرى منها على التَّرتيبِ المذكورِ، ثم نعقبُ ذلك بموازنةٍ بينهما؛ كي نتبينَ أيَّ النوعين أرجحَ وزنًا، وأعمَّ نفعًا، وأحسنَ قبولًا، وأجدى أثرًا.

أولًا: المتونُ النثريَّةُ

[مميزات المتون النثرية]

تمتازُ المتونُ النثريَّةُ بمحاسنَ نذكرُ منها ما يأتي:

أولًا: إنَّها لا تَتَقَيَّدُ بقافيةٍ ولا وزنٍ ولا عروضٍ ولا ضربٍ، ولا بشيءٍ من كلِّ الأمورِ التي يتقيَّدُ بها النَّظْمُ، بل الكاتبُ حرٌّ طليقٌ يكتبُ كما يشاءُ، ويرسلُ قلمَه كما يريدُ لا يعنيه إلا صِحَّةُ العبارةِ والتَّركيبِ، وحسنُ الأسلوبِ، ومجانبةُ الأمورِ التي تُخِلُّ ببلاغةِ الكلامِ بقدرِ استطاعتِه.

ثانيًا: إنَّ المؤلفَ بما له من الحريةِ وعدمِ التَّقيُّدِ بشيءٍ مما سبقَ يمكنُه أن يُوَضِّحَ الكلامَ، ويوفيَ حقَّه؛ بحيثُ يُفْهِمُ الغرضَ منه بذكرِ الشروطِ والأركانِ مع عدمِ الإخلالِ بالغرضِ الأساسِ وهو الاختصارُ، وإلَّا كانَ خارجًا عن محيطِ المتونِ إلى الموسوعاتِ.

ثالثًا: الخُلُوُّ من الحشوِ والزيادةِ من مثلِ الجملِ والألفاظِ التي يأتي بها النَّاظِمُ في نظمٍ لا لغرضٍ سوى تكميلِ شطرةٍ أو إقامةِ وزنٍ؛ حيثُ إنَّه مضطرٌّ لمسايرةِ الشروطِ التي يفرضُها قانونُ النَّظمِ.

رابعًا: سهولةُ الفهمِ؛ لأنَّ الطالبَ يفهمُ المعنى المقصودَ نسبيًّا لبسطِ عبارتِه، وإرسالِها عن كلِّ ما يُلْجِئُ النَّاظمَ من وضعِ جملةٍ في غيرِ موضعِها، ومن تركِ بعضِ الشروطِ والأركانِ وغيرِها من كلِّ الأمورِ التي تساعدُ على فَهْمِ المعنى المقصودِ، أو يتوقفُ عليه التَّنبيهُ على ذلك، ولا يفوتُنا أنَّ كلَّ ذلك إنما يكونُ بالنسبةِ للمقابلِ، وإلا لكثيرًا ما نحتاجُ إلى الاستعانةِ على فَهْمِ المتونِ النثريَّةِ أيضًا.

هذا ما ظهرَ لنا من خلالِ لمحاتِنا إلى هذه المتونِ مع الاستعانةِ بتجاربِنا المحدودةِ إلى الغايةِ.

[عيوب المتون النثرية]

ثم نجدُ أنَّ هذه المتونَ بالرغمِ من هذه المحاسنِ التي نؤمنُ بصحتِها ومقدارِ فائدتِها إلى حدٍّ ما، لم يَخْلُ من بعضِ العيوبِ، نذكرُ منها ما يأتي:

أولًا: صعوبةُ حفظِها، واحتياجُها إلى معالجةٍ أكثرَ مما يحتاجُ إليه النَّظمُ؛ ذلك لأنَّها تفقدُ المشوقاتِ التي تحتوي عليها المتونُ

النَّظميَّةُ، وهي مما يساعدُ الإنسانَ على حفظِها، ويُسَهِّلُ عليه تكرارَها، وأنَّها أيضًا تكونُ طويلةً في الغالبِ، إلى أمورٍ أخرى يلمسُها الإنسانُ واضحًا حينما يريدُ حفظَ أيِّ متنٍ منثورٍ.

ثانيًا: أخذُ زمنٍ كبيرٍ من وقتِ الطالبِ؛ حيثُ إنَّ صعوبتَها وحاجتَها إلى علاجٍ أكثرَ مما يحتاجُ إليه النَّظمُ تستدعي زمنًا أوسعَ مما يستغرقُه وقتُ حفظِ النَّظمِ؛ وأظنُّ أنَّ ذلك معلومٌ مشاهدٌ لمن جربَ أنواعَ المتونِ المختلفةِ حفظًا ودراسةً.

ثالثًا: خُلُوُّهَا من المشوقاتِ التي تدفعُ الإنسانَ وتحببُه في قراءتِها كالألحانِ الموسيقيةِ، والنغماتِ التي تعينُ النفسَ، وتثيرُ شعورَ القارئِ، وتحركُ وجدانَه، وتذكي حماسَه.

رابعًا: سرعةُ تطايرِها بعد الحفظِ، وعدمُ بقائِها محفوظًا ما يبقى النَّظمُ محفوظًا، وقد جاءَ في بعضِ الحكمِ: (النَّثْرُ يتطايرُ تطايرَ الشَّرَرِ، والنَّظْمُ يبقى بقاءَ النَّقْشِ في الحَجَرِ)(١).

---

(١) التمثيل والمحاضرة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، ص ١٨٧، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

وإنَّا لنقدمُ للقارئِ طائفةً من الأمثلةِ النثريَّةِ من مختلفِ الفنونِ ليَتَحَقَّقَ من هذه الأمورِ التي ذكرناها بنفسِهِ بعدَ إمعانِ النَّظرِ في هذه الأمثلةِ.

فنُّ التَّوحيدِ

قالَ صاحبُ متنِ السَّنوسيَّةِ[1]:

«اعلمْ أنَّ الحكمَ العقليَّ ينحصرُ في ثلاثةِ أقسامٍ: الوجوبِ، والاستحالةِ، والجوازِ. فالواجبُ: ما لا يُتَصَوَّرُ في العقلِ عدمُه، والمستحيلُ: ما لا يُتَصَوَّرُ في العقلِ وجودُه، والجائز: ما يَصِحُّ في العقلِ وجودُه وعدمُه. ويجبُ على كلِّ مكلَّفٍ شرعًا أن يعرفَ ما يجبُ في حقِّ مولانا ـ جلَّ وعزَّ ـ وما يستحيلُ وما يجوزُ، وكذلك يجبُ عليه أن يعرفَ مثلَ ذلك في حقِّ الرسلِ ـ عليهم الصلاة والسَّلام ـ. فَمِمَّا يجبُ لمولانا ـ جلَّ وعزَّ ـ عشرون صفةً، وهي: الوجودُ، والقدمُ، والبقاءُ، ومخالفتُه تعالى للحوادثِ، وقيامُه تعالى بنفسِهِ؛ أي لا يفتقرُ إلى محلٍّ، ولا مُخَصِّصٍ، والوحدانيةُ؛ أي

(١) هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، الحسني من جهة الأم، أبو عبد الله، ولد سنة ٨٣٢هـ، له تصانيف كثيرة، منها: شرح صحيح البخاري لم يكمله، وشرح جمل الخونجي، وكتبه في العقيدة الكبرى والوسطى والصغرى وصغرى الصغرى ومختصر في علم المنطق، ومكمل إكمال الإكمال في شرح صحيح مسلم، وشرح لامية الجزائري، توفي سنة ٨٩٥هـ.

لا ثاني له في ذاتِهِ، ولا في صفاتِهِ، ولا في أفعالِهِ، فهذه ستُّ صفاتٍ، الأولى: نفسيةٌ، وهي: الوجودُ، والخمسةُ بعدها سلبيةٌ»[1].

ورأينا أن نعجلَ بوضعِ مثالٍ من أمثلةِ النَّظمِ بجانبِ هذا، وفي الفنِّ نفسِهِ، والموضوعِ بعينِهِ، وإنَّما أردنا ذلك، وإن كانَ الغرضُ سوقَ الأمثلةِ بعد ذكرِ المحاسنِ والمثالبِ، ثم نأتي بالكلامِ على النَّظمِ لتسهلَ على القارئِ ملاحظةُ الأمورِ التي ذكرناها كمميزاتٍ للنثرِ، ويتمكنَ من الموازنةِ بين النوعين:

---

(١) متن السنوسية، ص ١ - ٢.

قالَ صاحبُ الخريدةِ في فنِّ التَّوحيدِ(١)

أ أَقْسَامُ حُكْمِ العَقْلِ (لَا مَحَالَة) هِيَ الوُجُوبُ ثُمَّ الاسْتِحَالَة
ثُـمَّ الجَـوَازُ (ثَالِـثُ الأَقْسَـامِ) (فَـافْهَمْ مُنِحْتَ لَـذَّةَ الإِفْهَـامِ)
ب وَوَاجِبٌ شَرْعًا عَلَى المُكَلَّفِ مَعْرِفَـةُ اللهِ العَلِـيِّ (فَـاعْرِفِ)
أَيْ يَعْـرِفُ الوَاجِبَ وَالمُحَـالَا مَـعْ جَـائِزٍ فِـي حَقِّـهِ تَعَـالى
وَمِثْـلُ ذَا فِـي حَـقِّ رُسْـلِ اللهِ عَلَـيهم تَحِيَّـةُ الإِلَـهِ
ج فَالوَاجِبُ العَقْلِيُّ مَا لَـمْ يَقْبَلِ الانْتِفَـا فِـي ذَاتِـهِ (فَابْتَهِـلِ)
والمُسْـتَحِيلُ كُـلُّ مَـا لَـمْ يَقْبَلِ فِي ذَاتِهِ الثُّبُوتَ (ضِـدُّ الْأَوَّلِ)
وَكُـلُّ أَمْـرٍ قَابِـلٍ لِلانْتِفَـا وَلِلثُّبُـوتِ جَـائِزٌ (بِـلا خَفَـا)
د فَـاعْلَمْ بِـأَنَّ الوَصْـفَ بِـالوُجُودِ مِنْ وَاجِبَاتِ الوَاحِدِ المَعْبُودِ

---

(١) هو أحمد بن محمد بن أحمد العَدَوي، أبو البركات الشهير بالدردير، ولد في بني عَدِيّ بمصر سنة ١١٢٧هـ، وتعلم بالأزهر، وتوفي بالقاهرة سنة ١٢٠١هـ. من كتبه: أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، وشرحه، وله شرح مختصر خليل، وتحفة الإخوان في علم البيان.

إِذْ ظَـاهِرٌ بِـأَنَّ كُـلَّ أَثَـرِ يَهْـدِي إِلَـى مُـؤَثِّرٍ فَـاعْتَبِرِ
وَذِي تُسَـمَّى صِـفَةٌ نَفْسِـيَةٌ ثُـمَّ تَلِيهَـا خَمْسَـةٌ سَـلْبِيَةٌ
وَهْيَ الْقِدَمُ بِالذَّاتِ (فَاعْلَمْ) وَالبَقَا وقِيامُـهُ بِنَفْسِـهِ (نِلْـتَ التُّقَـى)
تَخَـالُفٌ لِلْغَيْـرِ وَحْدَانِيـةٌ فِي الذَّاتِ أَو صِفَاتِهِ العَلِيَّةِ[1]

نلفتُ نظرَ القارئِ إلى ما سبقَ من مثالِ النَّثرِ والنَّظمِ ليدركَ الفرقَ بينهما، فإنَّه يجدُ النَّثرَ سهلَ العبارةِ، خاليًا من الحشوِ والزيادةِ؛ لأنَّ صاحبَه وضَّحَ غرضَه بأسلوبٍ واضحٍ، وبيَّنَ أقسامَ الحكمِ العقليِّ، ومعنى الواجبِ العقليِّ، والمستحيلِ العقليِّ، والجائزِ العقليِّ، ثم بيَّنَ ما يجبُ على المكلفِ من معرفةِ ما يجبُ للهِ - تعالى - ولرسلِهِ الكرامِ - صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين - ثم ذكرَ ستَّ صفاتٍ إلى آخرِ العبارةِ التي سقناها، ونرى أنَّه يُوَضِّحُ ويشرحُ بعضَ الصفاتِ، ويبينُ معانيها.

(١) شرح الخريدة البهية في علم التوحيد، ص ١١ - ١٢ .

ولكن من نظرَ إلى هذه الأبياتِ يدركُ كيف تَحَكَّمَ النَّظمُ على صاحبِهِ؛ حيثُ يرى أنَّه ذكرَ الحكمَ العقليَّ في بيتين (أ)، والشطرةُ الرَّابعةُ زيادةٌ أتتْ مكملةً للبيتِ مع الزياداتِ التي وضعناها بين القوسين (لا محالة) (ثالث الأقسام)، ثم ذكرَ في ثلاثِ أبياتٍ (ب) ما يجبُ على المكلفِ من معرفةِ ما يجبُ للهِ ولرسلِهِ، ثم بيَّنَ معنى الواجبِ العقليِّ وقسيميه في أبياتٍ أخرى (جـ)، ثم جاءَ بأبياتٍ لا تَعَلُّقَ لها بالموضوعِ أهملنا ذكرَها، ثم سردَ ستَّ صفاتٍ من صفاتِهِ تعالى في خمسِ أبياتٍ (د) هي التي ذُكِرَتْ في المتنِ المُتَقَدِّمِ.

وقد وضعنا الزياداتِ من الجملِ والألفاظِ محصورةً بين قوسين هذا إلى ملاحظاتٍ يدركُها المُدَقِّقُ ثم نعودُ بك إلى ذكرِ بقيةِ الأمثلةِ للنَّثرِ.

الفقهُ

من فصلٍ معقودٍ لبيانِ طهارةِ الماءِ والثوبِ والبقعةِ... إلخ، قالَ: «وَالْمُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَأَهَّبَ لِذَلِكَ بِالْوُضُوءِ أَوِ الطُّهْرِ إنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الطُّهْرُ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِمَاءٍ طَاهِرٍ غَيْرِ مَشُوبٍ بِنَجَاسَةٍ، وَلَا بِمَاءٍ قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ لِشَيْءٍ خَالَطَهُ مِنْ شَيْءٍ نَجِسٍ أَوْ طَاهِرٍ، إلَّا مَا غَيَّرَتْ لَوْنَهُ الْأَرْضُ الَّتِي هُو بِهَا مِنْ سَبِخَةٍ أَوْ حَمْأَةٍ أَوْ نَحْوِهِمَا، وَمَاءُ السَّمَاءِ، وَمَاءُ الْعُيُونِ، وَمَاءُ الْآبَارِ، وَمَاءُ الْبَحْرِ طَيِّبٌ طَاهِرٌ، مُطَهِّرٌ لِلنَّجَاسَاتِ، وَمَاءٌ غُيِّرَ لَوْنُهُ بِشَيْءٍ طَاهِرٍ حَلَّ فِيهِ، فَذَلِكَ الْمَاءُ طَاهِرٌ غَيْرُ مُطَهِّرٍ فِي وُضُوءٍ أَوْ طُهْرٍ، أَوْ زَوَالِ نَجَاسَةٍ وَمَا غَيَّرَتْهُ النَّجَاسَةُ فَلَيْسَ بِطَاهِرٍ وَلَا مُطَهِّرٍ»[(١)]. اهـ من رسالة ابن أبي زيد المالكي[(٢)].

---

(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: ١١٢٦هـ)، ١/ ١٢٢، وما بعدها، الناشر: دار الفكر، بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، المالكي، ويقال له: مالك الصغير. وكان أحد من برز في العلم والعمل. قال القاضي عياض: حاز رئاسة الدين والدنيا، =

من ينظرُ إلى هذا الكلامِ يراه مُفَصَّلًا واضحًا مؤديًا للغرضِ بأجلى بيانٍ لا يتيسرُ لناظمٍ أن يؤديه مع مراعاةِ الاختصارِ.

«القواعد»

قالَ ابنُ هشامٍ في توضيحِه[1]: «هذا بابُ المعرَّفِ بالأداة، وهي: (أل)، لا اللام وحدها وفاقًا للخليلِ وسيبويه، وليستِ الهمزةُ زائدةً خلافًا لسيبويه.

وهي: إمَّا جنسيةٌ، فإن لم تَخلفْها (كلٌّ) فهي لبيانِ الحقيقةِ، نحو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء:٣٠]، وإن خلفَتْها (كلٌّ) حقيقةً، فهي لشمولِ أفرادِ الجنسِ، نحو: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[النساء: ٢٨]، وإن خلفَتها مجازًا، فلشمولِ خصائصِ الجنسِ مبالغةً، نحو: (أَنْتَ الرَّجُلُ عِلْمًا).

=ورحل إليه من الأقطار ونجب أصحابه، وكثر الآخذون عنه، وهو الذي لخص المذهب، وملأ البلاد من تآليفه، تفقه بفقهاء القيروان، وعول على أبي بكر بن اللباد. سمع منه خلق كثير. صنف كتاب: النوادر والزيادات على ما في المدونة من الأمهات، واختصر المدونة، وكان مع عظمته في العلم والعمل ذا بر وإيثار وإنفاق على الطلبة وإحسان، توفي سنة ٣٦٠هـ.

(١) يقصد كتاب: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.

وإمَّـا عهديَّـةٌ، والعهـدُ إمَّـا: ذِكْـرِيٌّ، نحـو: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمـل: ١٦]، أو عِلْمِـيٌّ، نحـو: ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾[طـه: ١٢] ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾[التوبـة: ٤٠]، أو حُضـوريٌّ، نحـو: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

فصل: وقد تَرِدُ زائدةً؛ أي غيرُ معرفةٍ، وهي: إمَّا لازمة كالتي في عَلَمٍ قارنتْ وضعَه؛ كالسَّموءل، واليسع، واللَّات، والعزَّى. أو في إشارةٍ، وهو الآن وفاقًا للزَّجَّاجِ والنَّاظمِ. أو في موصولٍ وهو: الذي والتي وفروعهما؛ لأنَّه لا يجتمع تعريفان، وهذه معارفُ بالعلميةِ والإشارةِ والصلةِ.

وإما عارضةٌ: إما خاصَّةٌ بالضرورةِ كقوله: (ولقد نهيتُك عن بناتِ الأوْبَرِ) وقوله: (صَدَدْتَ وَطِبْتَ النَّفسَ يا قيسُ عن عمرٍو)؛ لأنَّ (بناتَ أوبر) عَلَمٌ، و(نفس) تمييزٌ، فلا يقبلان التَّعريفَ، ويلتحقُ بذلك ما زِيدَ شذوذًا نحو: ادخلوا الأولَ فالأولَ.

وإمَّا مُجَوَّزةٌ للمحِ الأصلِ؛ وذلك أنَّ العلمَ المنقولَ مما يقبلُ (أل) قد يُلْمَحُ أصلُه، فتدخلُ عليه (أل)، وأكثرُ وقوعِ ذلك في

المنقـولِ عـن صـفةٍ كحـارثٍ وقاسـمٍ وحسـنٍ وحسـينٍ وعبَّـاسٍ وضحَّاكٍ، وقـد يقـعُ في المنقـولِ عـن مصـدرٍ كفضـلٍ، أو اسـمِ عـينٍ كنعمانَ، فإنَّه في الأصلِ اسم للدَّمِ، والبابُ كله سماعيٌّ، فلا يجوزُ في نحوِ: محمَّدٍ وصالحٍ ومعروفٍ، ولم تقعْ في نحـو: يزيـد ويشـكر؛ لأنَّ أصلَه الفعلُ، وهو لا يقبلُ (أل). وأما قولُـه: (رأيـتُ الوليـدَ بـنَ اليزيد مباركًا) فضرورةٌ سَهَّلَهَا تَقَدُّمُ ذكرِ الوليدِ.

فصل: من المعرَّفِ بالإضافةِ أو الأداةِ ما غلـبَ على بعـضٍ مـن يَسْتَحِقُّه حتى التحقَ بالأعلام، فالأولُ: كابنِ عبَّاسٍ، وابـنِ عمـرَ بـنِ الخطـابِ، وابـنِ عمـرِو بـنِ العـاصِ، وابـنِ مسـعودٍ؛ غلبـتْ علـى العبادلـةِ دونَ مـن عـداهم مـن إخـوتِهم. والثَّـاني كـالنَّجمِ للثريـا، والعقبةِ، والبيتِ، والمدينةِ، والأعشى، و(أل) هـذه زائـدةٌ لازمـةٌ إلَّا في نـداءٍ أو إضـافةٍ فيجـبُ حـذفُها نحـو: يـا أعشـى باهلـةَ، وأعشـى تغلبَ، وقد تحذفُ في غيرِ ذلك، سُمِعَ: هذا عيوقٌ طالعًا، وهذا يومُ اثنين مباركًا فيه»[1].

---

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاريُّ، ٢/ ١٧٩ ـ ١٨٤، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م.

إنما عُنِيتُ بنقلِ هذا البابِ بتمامِهِ لأضعَ بجوارِهِ فصلًا كاملًا من ألفيةِ ابنِ مالكٍ[1] ليتمكنَ القارئُ من الموازنةِ بين نوعي النَّثرِ والنَّظمِ بأجلى بيانٍ، وأتمِّ وضوحٍ؛ كي يُسَلِّمَ معنا بالنتائجِ التي سنذكرُها عندَ ذكرِ الموازنةِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

انظرْ كيف سلكَ المؤلفُ في تأليفِهِ، وكيف تراه وقد بيَّنَ أداةَ التَّعريفِ بأنَّها (أل) لا الهمزةُ وحدَها، وقَسَّمَهَا إلى جنسيةٍ وعهديةٍ، ثم ذكرَ أنَّها تردُ زائدةً إلى آخرِ ما ذكرَ من الأقسامِ والتَّفاصيلِ مُفَصَّلًا، ومشيرًا إلى الخلافاتِ التي بين أئمةِ الفنِّ، وهذا يُحَقِّقُ لنا ما ذكرناه من أنَّ عدمَ التَّقَيُّدِ بالقيوداتِ التي يفرضُها أسلوبُ النَّظمِ على النَّاظمِ يساعدُ المؤلفَ على تأديةِ الغرضِ على الوجهِ الأكملِ، وهذا ما عناه ابنُ هشامٍ بقولِه في أوَّلِ كتابِهِ هذا:

---

(١) هو محمد بن عبد الله، بن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، أحد الأئمة في علوم العربية. ولد في جيان بالأندلس سنة ٦٠٠هـ، وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها سنة ٦٧٢هـ. من كتبه: الألفية في النحو، وتسهيل الفوائد، وشرحه، والضرب في معرفة لسان العرب، والكافية الشافية - أرجوزة في نحو ثلاثة آلاف بيت وشرحها، ولامية الأفعال.

«فإنَّ كتابَ الخلاصةِ الألفيةِ كتابٌ صَغُرَ حجمًا ـ وغَزُرَ علمًا، غيرَ أنَّه لإفراطِ الإيجازِ قد كادَ يُعَدُّ من جملةِ الألْغازِ، وقد أسعفتُ طالبيه بمختصرٍ يُدانيه، وتوضيحٍ يسايره ويُباريه، أحلُّ به ألفاظَه، وأوضِّحُ معانيه إلى أن قالَ: وأَعْقِلُ به شواردَه، ولا أخلي منه مسألةً من شاهدٍ أو تمثيلٍ، ورُبَّما أشيرُ فيه إلى خلافٍ أو نقدٍ أو تعليلٍ»[1] إلخ كلامِه، فإنَّ هذه الأغراضَ كلَّها لا تتحقَّقُ على أكملِ وجهِها إلا بالنَّثرِ.

[ميزات وعيوب المتون]

والآن ننتقلُ إلى ذكرِ مميزاتِ النَّظمِ وعيوبِهِ، بعد أن قدمنا ما رأينا من مميزاتِ النَّثرِ وعيوبِهِ.

[ميزات المتون النظمية]

أما النَّظمُ فيمكنُ أن نأخذَ مميزاتِه مما تَقَدَّمَ، وهي ما يأتي:

أولًا: سهولةُ الحفظِ، وعدمُ احتياجِه إلى ما يحتاجُ إليه النَّثرُ من المعاناةِ والصبرِ لسهولتِه.

---

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ١/ ١٠.

ثانيًا: قِلَّةُ الزَّمنِ الذي يمضيه الطالبُ في حفظِه؛ حيثُ إنَّ هذه السُّهولةَ التي لا تستدعي معالجةً ومعاناةً يتطلبُها النَّظمُ يجعلُ زمنَ حفظِهِ أقلَّ من الزَّمنِ الذي يحتاجُ إليه حفظُ النَّثرِ.

ثالثًا: المشوقاتُ. ما يحوي النَّظمُ من الألحانِ الموسيقيَّةِ، والنغماتِ المشجيةِ التي تثيرُ شعورَ الإنسانِ، وتذكي حماسَه، وتدفعُه إلى الاستمرارِ في الحفظِ من غيرِ مللٍ ولا سآمةٍ.

رابعًا: بقاؤه محفوظًا مدةً أكثرَ مما يبقى النَّثرُ محفوظًا، وقد جاءَ في بعضِ الحكمِ المأثورةِ: (النَّثرُ يتطايرُ تطايرَ الشَّررِ، والنَّظْمُ يبقى بقاءَ النَّقْشِ في الحَجَرِ)، وقد سبقَ، ويسهلُ تكرارُه بعد الحفظِ للمشوقاتِ التي سبقَ ذكرُها بخلافِ النَّثرِ، فإنه يثقلُ تكرارُه على النَّفسِ حتى بعد الحفظِ.

[عيوب المتون النظمية]

أما عيوبُ المتونِ النَّظميَّةِ فهي بعينِها مميزاتُ المتونِ النَّثريَّةِ، كما أنَّ مميزاتِها هي العيوبُ نفسُها التي تحتوي عليها المتونُ النَّثريَّةُ، ونذكرُ هذه العيوبَ مرتبةً بحسبِ الأهميةِ في نظرِنا.

أولًا: عدمُ سهولةِ فهمِها؛ حيثُ إنَّ النَّاظمَ لا يمكنُه إيفاءُ الغرضِ كما يريدُ بذكرِ الشروطِ والأركانِ، وكلُّ ما إلى ذلك مما يتوقفُ عليه فَهْمُ المعنى المرادِ، ولو أرادَ ذلك لاحتاجَ إلى التَّطويلِ الخارجِ عن المقصودِ؛ لأنَّه لا يتيسرُ له مع تَقَيُّدِه بقوانين النَّظمِ أن يوضِّحَ تلك الأشياءَ بإيجازٍ، وخصوصًا لو علمنا أن مؤلفي هذه المتونِ ليسوا من الشُّعراءِ، بل سلكوا هذا السَّبيلَ ليسهِّلوا طريقَ الحفظِ على الطلابِ.

ثانيًا: اشتمالُها على زياداتٍ من الجملِ والألفاظِ التي يضطرُّ إليها النَّاظمُ اضطرارًا لتكميلِ شطرةٍ، أو إقامةِ وزنٍ، أو مراعاةِ عروضٍ أو قافيةٍ.

ثالثًا: عدمُ حريةِ النَّاظمِ في وضعِ أفكارِه وترتيبِها كما يراه؛ حيثُ إنَّه مُقَيَّدٌ بشروطٍ وقوانينَ يفرضُها علماءُ هذا الفنِّ لا يمكنُ إغفالُها بحالٍ، ولو أدَّى ذلك إلى حذفِ بعضِ الأمورِ الضَّروريَّةِ في الكلامِ، ووضعِ حشوٍ بدلَها، ويعللون لذلك بالضرورةِ.

رابعًا: هذا التَّقيُّدُ يضعُ غلًّا في يدِ المؤلفِ، ولا يسمحُ له أن يوفيَ المقامَ حقَّه كما يراه أو كما يجبُ؛ لأنَّه صيَّره عبدًا خاضعًا لتلك الأمورِ التي تفرضُها قواعدُ هذا الفنِّ على كلِّ من أرادَ أن يضعَ مؤلفًا فيه.

ولنا أن نضعَ أمثلةً من النَّظمِ بعدَ ذلك كما سبقَ أن وضعنا أمثلةً من النَّثرِ، وليكنْ أوَّلُ مثالٍ من نظمِ الألفيةِ لابنِ مالكٍ في القواعدِ العربيَّةِ، ونختارُ منه الفصلَ الذي ذكرناه من توضيحِ ابنِ هشامٍ ليكونَ معينًا للنَّاظرِ على الموازنةِ بين النوعين:

قالَ ابنُ مالكٍ: (المعرفُ بأداةِ التَّعريفِ)

أَلْ حَرْفُ تَعْرِيفٍ أَوِ اللَّامُ فَقَطْ ... فَنَمَطٌ عرَّفْتَ قُلْ فِيهِ النَّمَطْ
وَقَدْ تُزَادُ لَازِمًا كَاللَّاتِ ... وَالآنَ وَالَّذِينَ ثُمَّ اللَّاتِي
وَلاضْطِرَارٍ كَبَنَاتِ الأَوْبَرِ ... كَذَا وَطِبْتَ النَّفْسَ يَا قَيْسُ السَّرِي
وَبَعْضُ الأَعْلَامِ عَلَيْهِ دَخَلا ... لِلَمْحِ مَا قَدْ كَانَ عَنْهُ نُقِلا
كَالْفَضْلِ وَالْحَارِثِ وَالنُّعْمَانِ ... فَذِكْرُ ذَا وَحَذْفُهُ سِيَّانِ

وَقَـدْ يَصِـيرُ عَلَمًـا بِالْغَلَبَـة ... مُضَـافٌ اوْ مَصْـحُوبُ أَلْ كَالْعَقَبَة

وَحَـذْفُ أَلْ ذِي إِنْ تُنَـادِ أَوْ ... أَوْجِـبْ وَفِـى غَيْرِهِمَـا قَـدْ

فنُّ البلاغةِ

ونأتي بمثالٍ من النَّظمِ في هذا الفنِّ، ولو لم نُقَدِّمْ نظيرَه من النَّثرِ؛ لأنَّ الغرضَ إنما هو إدراكُ ما فيه من المحاسنِ والمعايبِ لا مقابلةُ مثالٍ بمثالِ كلِّ فنٍّ. قالَ: البابُ الأوَّلُ من الإسنادِ الخبريِّ

«الحُكْمُ بالسَّلبِ أوِ الإيجابِ ... إِسْنادُهمْ. وَقَصْدُ ذي الخِطابِ

إفـادةُ السَّـامعِ نَفْسَ الحكْم ... أوْ كَـوْنَ مُخْبِـرٍ بـه ذا عِلْـم

فـأولٌ فائـدةٌ والثَّـاني ... لازِمُهـا عِنْـدَ ذوي الأذهـان

وربمـا أُجْرِيَ مُجْرَى الجاهِـل ... مُخاطَـبٌ إِنْ كـانَ غيـرَ عامـل

كقولنـا لعـالمٍ ذي غفلـة ... الـذكرُ مفتـاحٌ لبـابِ الحضـرة

فينبغـي اقتصـارُ ذي الإخبـار ... علـى المفيـد (خَشْـيَةَ الإكثـار)

فيُخْبِـرُ الخـالي بـلا توكيـدِ ... ما لَـمْ يَكُـنْ في الحُكْـمِ ذا تَرْديد

---

(١) ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، ص ١٦، الناشر: دار التعاون.

فَحَسَـــنٌ ومُنْكِــرُ الأَخبــار   حَــتِّمْ لــه بِحَسَــبِ الإنكــار
كقولـه: (إنَّـا إلـيكم مُرْسَـلونْ)   فزاد بعدَ ما اقتضاهُ المنكِرون»
إلخ. أهـ من الجوهر المكنون(١).

وأيضًا نذكرُ فصلًا من فنِّ المنطقِ، وإن لم نذكرْ نظيرَه من النَّثرِ، قالَ:

فصل في أنواع العلم الحادث

«إدْراكُ مُفْـرَدٍ تَصَـوُّرًا عُلِـم   وَدَرْكُ نِسْـبَةٍ بِتَصْـديقٍ وُسِـم
وَقَـدِّمَ الأَوَّلَ عِنْـدَ الوَضْـع   لأَنَّــهُ مُقَــدَّمٌ بِــالطَّبْع
وَالنَّظَـرِيْ مـا احْتـاجَ لِلتَّأَمُّـل   وَعَكْسُـهُ هُـوَ الضَّـروريُّ الجَلـي
وَمـا إلـى تَصَـوُّرٍ بِـهِ وُصِـلْ   يُـدْعى بِقَـوْلٍ شَـارِحٍ فَلْتَبْتَهِـل
وَمَـا لِتَصْـدِيقٍ بِـهِ تُوُصِّـلا   بِحُجَّـةٍ يُعْـرَفُ عِنْـدَ العُقَـلا(٢)

أهـ. متن السَّلم.

(١) مَتنُ الجوهر المكنون في الثلاثة فنون (البيان والمعاني و البديع)، تأليف: العلاّمَةِ عَبْدِ الرَّحمنِ الأَخْضَرِي، ص ٣.

(٢) متن السلم المنورق، الناظم: العَلاَّمَة أَبو زَيدٍ عَبْدُ الرَّحْمنِ بن مُحَمَّد الصَّغير الأَخْضَرِيُّ، ص ٢، تصحيح: بلال النجار.

وهذا فصلٌ من النَّظمِ في الفقهِ نذكرُه ليُقابل به ما قَدَّمْناه في النَّثرِ

«فَصْـل وَتَحْصُـلُ الطَّهـارَةُ بِمـا مِـنَ التَّغَيُّـرِ بِشَـيْءٍ سَـلِما
إذَا تَغَيَّـر بِــنَجْسٍ طُرِحـا أوْ طَـاهِرٍ لِعَـادَةٍ قَـدْ صَلَحا
إلَّا إذَا لَازَمَـهُ فِـي الْغالِـب كمُغْـرَةٍ فَمُطْلَـقٌ كالـذَّائِب»

أهـ. متن ابن عاشر(١) في العبادات مالكي(٢).

من يلقي نظرةً صادقةً إلى هذه الأبياتِ يرى أن صاحبَها قد بيَّنَ المقصودَ من الحكمِ في هذه المسألةِ إلا أنَّها في غايةٍ من الخفاءِ لا يمكنُ فهمُها إلا بوساطةِ أستاذٍ، أو بشرحِ شارحٍ.

---

(١) هو أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري الأندلسي، المغربي الفاسي. ولد بمدينة فاس سنة ٩٩٠هـ، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشاركًا في جل الفنون، وقد ثابر على التعليم، والبحث والتجوال حتى تفرد في عصره بعلم الرسم، والضبط. توفي سنة ١٠٤٠هـ. من كتبه: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، وشرح مختصر خليل. وتعليق على كبرى السنوسي.

(٢) الدر الثمين والمورد المعين، ص ١٢٤. لمحمد بن أحمد ميارة المالكي، المحقق: عبد الله المنشاوي، الناشر: دار الحديث القاهرة، سنة النشر: ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

الموازنةُ بين نوعي النَّثرِ والنَّظمِ من المتونِ

الموازنةُ بين شيئين أو أكثرَ إنما هي عبارةٌ عن ذكرِ محاسنِ كلٍّ ومثالبِه، ثم ترجيحُ أحدِهما على الآخرِ في الفضلِ بعد التَّدقيقِ في الحكمِ، وإمعانِ النَّظرِ في هذه المحاسنِ وتلك العيوبِ، فما كان حسناتُه أكثرَ أو أشدَّ نفعًا، أو أعمَّه قُدِّمَ على ما كان حسناتُه أقلَّ أو أضعفَ أثرًا، أو أقصرَ مدى، وعلى هذا الأساسِ وجبَ علينا أن نُدَقِّقَ النَّظرَ فيما ذكرناه من الحسناتِ والسَّيئاتِ لكلٍّ من المتونِ النَّثريَّةِ والنَّظميَّةِ من حيثُ أثرُها الحقيقيُّ، ولنضعَ الصورةَ أمامَنا كالآتي:

الحسنات للنَّثريَّةِ

أولًا: أنَّها لا تَتَقَيَّدُ بقافيةٍ ولا وزنٍ ولا عروضٍ ولا ضربٍ من الأمورِ التي يتقيَّدُ بها النَّظْمُ، بل الكاتبُ حرٌّ طليقٌ يكتبُ كما يشاءُ، ويرسلُ قلمَه كما يريدُ

الحسنات للنَّظميَّةِ

أولًا: سهولةُ الحفظِ، وعدمُ احتياجِه إلى ما يحتاجُ إليه النَّثرُ من المعاناةِ والصبرِ عليها.

لا يعنيه إلا صِحَّةُ العبارةِ والتَّركيبِ، وحسنُ الأسلوبِ، ومجانبةُ الأمورِ التي تُخِلُّ ببلاغةِ الكلامِ طبعًا بقدرِ ما يُوَفَّقُ إليه كلُّ مؤلفٍ في تأليفِه.

ثانيًا: أنَّ المؤلفَ بما له من الحريةِ الواسعةِ، وعدمِ التَّقيُّدِ بشيءٍ مما سبقَ يمكنُه أن يُوَضِّحَ الكلامَ، ويوفيَ حقَّه؛ بحيثُ يُفْهِمُ الغرضَ منه بذكرِ ما يتوقفُ عليه الفهمُ من الأركانِ والشروطِ مع المحافظةِ على الغرضِ الأساسِ وهو الاختصارُ، وإلَّا كانَ خارجًا عن محيطِ المتونِ إلى الموسوعاتِ.

ثانيًا: قِلَّةُ الزَّمنِ الذي يحتاجُ إليه الطالبُ في حفظِها؛ حيثُ إنَّ هذه السُّهولةَ التي لا تستدعي معالجةً ومعاناةً تتطلبُها النَّثريَّة تجعلُ زمنَ حفظِها أقلَّ من زمنِ حفظِ النَّثرِ.

ثالثًا: الخُلُوُّ من الحشوِ والزيادةِ كالجملِ والألفاظِ التي يحتوي عليها النَّظْمُ لا لغرضٍ سوى تكميلِ شطرةٍ أو إقامةِ وزنٍ؛ حيثُ إنَّ النَّاظمَ مضطرٌّ لمسايرةِ الشروطِ التي يفرضُها قانونُ النَّظمِ.

رابعًا: سهولةُ الفهمِ؛ يفهمُ الطالبُ المعنى المقصودَ لبسطِ عبارتِه، وإرسالِها عن كلِّ ما يُلْجِئُ النَّاظمَ إلى وضعِ جملةٍ في غيرِ موضعِها، وتركِ بعضِ الشروطِ والأركانِ، وما إلى ذلك من كلِّ أمرٍ يتوقفُ عليه فهمُ المعنى بسهولةٍ، ووضوحٍ تامين.

ثالثًا: المشوقاتُ. ما يحتوي النَّظمُ من الألحانِ الموسيقيَّةِ، والنغماتِ المشجيةِ التي تثيرُ شعورَ الإنسانِ، وتذكي حماسَه، وتدفعُه إلى الاستمرارِ في حفظِه من غيرِ شعورٍ بمللٍ ولا سآمةٍ.

رابعًا: بقاؤه محفوظًا أكثرَ مما يبقى النَّثرُ محفوظًا، بل يمكنُنا أن نقولَ: إنَّه يبقى ما دامَ الإنسانُ يَتَعَهَّدُه بتكريرٍ قليلٍ، لا يكلفُه شيئًا من المجهودِ، وقد جاءَ في بعضِ الحكمِ (النَّثرُ يتطايرُ تطايرَ الشَّرَرِ، والنَّظْمُ يبقى بقاءَ النَّقْشِ في الحَجَرِ)، ويسهلُ تكرارُه على النَّفسِ

للمشوقاتِ التي ذكرناها.

أمَّا النَّثرُ فبالرغمِ من حفظِهِ لم يزلْ ثقيلًا على النَّفسِ تكرارُه، وهذا مما يساعدُ على تطايرِهِ حتى لا يبقى له أثرٌ.

«المساوئ التي ذكرناها لكلٍّ من النوعين»

عيوبُ النَّثريَّةِ

أولًا: صعوبةُ حفظِها، واحتياجُها إلى معالجةٍ أكثرَ مما يحتاجُ إليه حفظُ النَّظمِ؛ ذلك لأنَّها تفقدُ المشوقاتِ التي تحتوي عليها المتونُ النَّظميَّةُ، والتي تساعدُ الإنسانَ على حفظِها، وتساعدُه على تكريرِها فيما بعدُ، وأنَّها أيضًا تكونُ طويلةً في الغالبِ، إلى أمورٍ أخرى يلمسُها الإنسانُ واضحًا حينما يريدُ حفظَ أيِّ متنٍ منثورٍ.

عيوبُ النَّظميَّةِ

أولًا: صعوبةُ فهمِها؛ حيثُ إنَّ النَّاظمَ لا يمكنُه أن يوفيَ غرضَه كما يريدُ، أو كما يجبُ بذكرِ الأمورِ التي يتوقفُ عليها فَهْمُ المعنى بسهولةٍ، وذلك كالأركانِ والشروطِ وما إليها، ولو أرادَ ذلك لأدَّى إلى التَّطويلِ المنافي للأغراضِ التي قُصِدَتْ من هذه المتونِ؛ لأنَّه لا يتيسرُ له مع تَقَيُّدِه بقوانين النَّظمِ أن يوضِّحَ المقامَ كما يقتضيه مع الإيجازِ، وخصوصًا لو علمنا أن مؤلفي هذه المتونِ ليسوا من الشُّعراءِ، بل سلكوا هذا السبيلَ

	ليسهِّلوا طريقَ الحفظِ على الطلابِ.
ثانيًا: أخذُ زمنٍ كبيرٍ من وقتِ الطالبِ؛ واحتياجُها إلى علاجٍ كبيرٍ؛ حيثُ إنَّ صعوبتَها تستدعي زمنًا أكثرَ مما يستغرقُه حفظُ النَّظمِ؛ وأظنُّ أنَّ ذلك معلومٌ مشاهدٌ لمن جربَ أنواعَ المتونِ حفظًا ودراسةً.	**ثانيًا**: اشتمالُها على زياداتٍ من الجمل والألفاظِ التي يضطرُّ إليها النَّاظمُ لتكميلِ شطرةٍ، أو إقامةِ وزنٍ، أو مراعاةِ عروضٍ أو قافيةٍ، وهذه الأمور لها قيمةٌ فنيةٌ لا يمكن إغفالُها.
ثالثًا: خُلُوُّهَا من المشوقاتِ التي تدفعُ الإنسانَ وتحببُه في قراءتِها كالألحانِ الموسيقيَّةِ، والنغماتِ المشجيةِ التي تثيرُ الشعورَ، وتحركُ الوجدانَ، وتذكي الحماسَ، وكلُّ أولئك له أثرٌ ظاهرٌ في النَّشاطِ.	**ثالثًا**: عدمُ حريةِ النَّاظمِ في وضعِ أفكارِه وترتيبِها كما يراه ملائمًا؛ حيثُ إنَّه مُقَيَّدٌ بشروطٍ وقوانينَ يفرضُها علماءُ هذا الفنِّ، ولا بُدَّ من ملاحظتها، ولو أدَّى ذلك إلى حذفِ بعضِ الأمورِ الضَّروريَّةِ في الكلامِ، ووضعِ

حشـوٍ بـدلَها، ويعللـون لـذلك بالضرورةِ.

رابعًـا: سـرعةُ تطايرِهـا بعـد الحفظِ، وعدمُ بقائِها محفوظًا ما يبقى النَّظمُ محفوظًا، وقد جاءَ في بعضِ الحكمِ: (النَّثرُ يتطايرُ تطايرَ الشَّرَرِ، والنَّظْمُ يبقى بقاءَ النَّقْشِ في الحَجَرِ)، ولا أملُّ من تكرارِ هذه الحكمةِ.

رابعًا: هذا التَّقيُّدُ يضعُ غلًّا في يدِ المؤلفِ، ولا يسمحُ له أن يوفيَ الكلامَ حقَّه كما يجبُ؛ لأنَّ هذا التَّقيُّدَ صيَّره عبدًا خاضعًا لتلك الأمورِ التي تفرضُها قواعدُ هذا الفنِّ على كلِّ من أرادَ أن يضعَ مؤلفًا فيه.

من ينظرُ إلى هذه الأمورِ من المحاسنِ والمثالبِ التي وضعناها بهذه الكيفيَّةِ، وعلى هذه الصورةِ التي يراها نظرةً إجماليةً ربما يراها متعادلةً ومتكافئةً بحسبِ الظاهرِ ولو إلى حدٍّ ما كتعادلِها مثلًا في الكميَّةِ، ولكن لو دَقَّقَ النَّظرَ في قيمةِ هذه الأمورِ، ولاحظَ أيضًا أنَّ من الأغراضِ المهمةِ التي دعتِ المؤلفين إلى سلوكِ هذا السَّبيلِ، والتي كانت من صميمِ الدواعي لوضعِ هذه المختصراتِ: سهولةَ الحفظِ، وتوفيرَ الزَّمنِ على الطلابِ، وعدمَ تكليفِهم ركوبَ

الصعابِ، وتَحَمُّلَ المشاقِّ، وبذلَ مجهودٍ دونَه طاقتُهم، مع مراعاةِ أن يكونَ لديهم أسسُ الحقائقِ العلميَّةِ من كلِّ الفنونِ يبنون عليها كلَّ ما يحتاجون إليه من مزيدٍ، من لاحظَ هذه الاعتباراتِ كلَّها فلا شكَّ في أنَّه يُسَلِّمُ معنا بفضلِ المتونِ النَّظميَّةِ على النَّثريَّةِ.

أما سهولةُ فهمِها فليستْ بالمكانةِ التي تتَرَجَّحُ بها على النَّظميَّةِ؛ لأنَّه مهما يكنْ من البسطِ والتَّوضيحِ فلا غنًى عن الأستاذِ أو الشروحِ.

ويمكنُ أن نقولَ ما قدَّمناه من الأغراضِ المُهِمَّةِ قد يكونُ فيه ما يَسُدُّ هذا النَّقصَ، ويُعَوِّضُ عنه، أما عدمُ الخلوِّ من الحشوِ والزياداتِ التي يضطرُّ إليها النَّاظمُ، فقد تُعَوِّضُ عن ذلك تلك المشوقاتُ التي نجدُ فيها سلوةً للنفس، وإعانةً على الحفظِ، والتَّكريرِ.

ولا ننسى بعدَ ذلك كلِّه بقاءَها محفوظةً مدةَ الحياةِ إذا ما تَعَهَّدَها الإنسانُ بتكريرٍ قليلٍ لا يكلفُه كثيرًا من الاهتمامِ، ولا يأخذُ شيئًا من وقتِهِ، بل يأتي كسلوةٍ في أوقاتِ فراغِهِ وخُلُوِّهِ من أعمالِهِ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

أثرُ المتونِ في التَّربيةِ

الفَصْلُ الثَّالِثُ

أثرُ المتونِ في التَّربيةِ، وتنتظمُ ما يأتي:

١ ـ مناسبتُها لحالِ من تُدَّرَسُ لهم، وكيفيَّةُ وضعِها.

٢ ـ أثرُ دراستِها في نفوسِهم، وأثرُ استظهارِها في عقولِهم.

١ـ مناسبةُ هذه المتونِ لمن تُدَّرَسُ لهم

يجبُ على من يتعرضُ لبيانِ مناسبةِ هذه المتونِ الدراسيةِ لحالِ من تُدَّرَسُ لهم أن يكونَ ملمًّا بدرجةِ عقولِهم، عالمًا ببيئتِهم الأوَّليَّةِ التي درجوا عليها، ونشئوا فيها، وتكوَّنوا على ما تقتضيها، وطُبعوا على غرارِها، حتى يجعلَ كلَّ أولئك أساسًا يبني عليه حكمَه ليكونَ الحكمُ صحيحًا ومقبولًا في الوقتِ نفسِه، وأيضًا يجبُ عليه أن يعرفَ حالَ هذه المتونِ وكيفيَّةَ وضعِها.

لذلك وجبَ علينا أن نبينَ أولًا حالَ هؤلاء الطلبةِ الذين يَدْرُسُون هذه المتونَ في الأزهرِ والمعاهدِ، وثانيًا حالَ هذه المتونِ نفسِها، وكيفيَّةَ وضعِها لنبني ما نختارُه من الحكمِ على هذا الأساسِ.

إنَّ الطلبةَ الذين يقصدون الأزهرَ والمعاهدَ الدِّينيَّةَ ليرتشفوا العلمَ من منهلِه العذبِ، وليثقفوا ثقافةً علميةً واسعةَ النِّطاقِ، وليتزودوا من العلومِ المختلفةِ من هذا المعهدِ، إنَّما يقصدونه بعد أن تتهيأَ عقولُهم، وتَسْتَعِدَّ نفوسُهم إلى حدٍّ تقبلُ معه دراسةَ هذه المتونِ التي اعْتُبِرَتْ كتبَ دراسةٍ واستفادةٍ مُنْذُ أمدٍ بعيدٍ.

وذلك التَّهيُّؤُ والاستعدادُ بحفظِ القرآنِ الكريمِ، وبعضِ هذه المتونِ قبلَ القدومِ إلى الأزهرِ أحيانًا وبعدَه، وقبلَ الانتظامِ أحيانًا، وذلك فيما مضى، أما الآنَ فيشترطُ أن يكونَ حافظًا للقرآنِ الكريمِ، ومنتهيًا من الدراسةِ الأوَّليَّةِ التي تحتوي على شيءٍ من مبادئِ اللُّغةِ والدِّينِ والحسابِ وغيرِ ذلك، وبذلك يجدون ملاءمةً بين حالِهم النَّفْسِيَّةِ، وبين دراسةِ هذه المتونِ، وقَابِلِيَّةً لتَفَهُّمِهَا إذا ما أُحْسِنَ تصويرُها لهم، وصُرِفَ النَّظرُ عن التَّقيُّدِ بالشروحِ المطولةِ والحواشي مع عدمِ إجهادِ الطالبِ بتَفْهِيمِ كلِّ ما يحتملُه اللفظُ، وقد رأينا أثرَ ذلك أثناءَ قيامِنا بدروسِ التَّمرينِ، وارتياحَ الطلبةِ إلى ذلك لاستفادتِهم من هذه الطريقةِ، أضفْ إلى هذا مقدارَ السِّنِّ التي

تَعْتَبِرُ سنَّ التِّلميذِ الحائزِ للشهادةِ الابتدائيَّةِ حيثُ إنَّه يشترطُ ألا يقلَّ سنُّ هؤلاء الطلبةِ عن اثنتي عشرةَ سنَةً، فإذًا من الحيفِ أن يبنى الحكمُ على أساسٍ غيرِ هذا الاعتبارِ.

أما حالة المتون:

فإنَّها كما يراها من درسَهَا مسايرةً للتَّدرُّجِ الذي يقتضيه نُمُوُّ عقلِ الناشئين وتَطَوُّرُه في الإدراكِ؛ حَيْثُ إنَّه يدركُ الأشياءَ كوحدةٍ كُلِّيَّةٍ ثم يدركُها مُفَصَّلةً كما بيناه فيما سبقَ.

ثم إنَّ واضعي هذه المتونِ درجوا على نظامٍ خاصٍّ، وتدرَّجوا فيه من السَّهلِ إلى الصعبِ، ومن الإجمالِ إلى التَّفصيلِ، وقسموا بحوثَهم إلى أبوابٍ، ووضعوا في كلِّ بابٍ ما تشابَه من المسائلِ وارتبطَ، وهذا يحقِّقُ لنا شيئًا من أغراضِ التربيةِ إلى حدٍّ ما، وإن لم يبلغوا الغايةَ، ثم عنوا بالاختصارِ ليسهِّلوا على الطلابِ طريقَ الحفظِ والتَّحصيلِ ملاحظين التَّدرُّج في الأسلوبِ والألفاظِ على حسبِ ما يلائمُ حالَ النَّشْءِ، ولنا أن نُوَضِّحَ ذلك بأمثلةٍ من بعضِ الفنونِ العلميَّةِ:

«فنُّ اللُّغةِ العربيَّةِ»

«الفاعلُ هو: الاسمُ المرفوعُ المذكورُ قبلَه فعلُه. وهو على قسمين: ظاهرٍ ومضمرٍ؛ فالظاهرُ نحوَ قولِك: قامَ زيدٌ، ويقومُ زيدٌ، وقام الزيدانِ، ويقومُ الزيدانِ، وقامَ الزيدونَ، ويقومُ الزيدونَ، وقامَ الرجالُ، ويقومُ الرجالُ، وقامتْ هندُ، وتقومُ هندُ، وقامتِ الهندان، وتقومُ الهندان، وقامتِ الهنداتُ، وتقومُ الهنداتُ، وقامَ غلامِي، ويقومُ غلامِي، وما أشبه ذلك» أهـ من الآجرومية[١].

بابُ الفاعلِ:

«وهو الاسمُ المرفوعُ المسنَدُ إليه فعلٌ أو شبهُه مقدمٌ عليه على جهةِ قيامِه به، أو وقوعِه منه؛ فالأوَّلُ نحو: عَلِمَ زيدٌ، والثَّاني نحو: قامَ زيدٌ. وهو على قسمين: ظاهرٍ، ومضمرٍ، فالظاهرُ أقسامٌ، الأولُ: الاسمُ المفردُ، نحو: جاءَ زيدٌ. والثَّاني: مثنى المذكورِ، نحو: جاءَ الزيدان. والثَّالثُ: جمعُ المذكرِ السَّالمُ، نحو: جاء الزيدون. والرَّابعُ: جمعُ التَّكسيرِ للمذكرِ، نحو: جاءَ الرجالُ.

(١) شرح الآجرومية، ص٢٨، ٢٩.

والخامسُ: المفردُ المؤنثُ، نحو: جاءتْ هندُ. والسَّادِسُ: مثنى المؤنثِ، نحو: جاءتِ الهندان. والسَّابعُ: جمعُ المؤنثِ السَّالمُ، نحو: جاءتِ الهنداتُ. والثامنُ: جمعُ التَّكسيرِ للمؤنثِ، نحو: جاءتِ الهنودُ. والمضمرُ: اثنا عشر، اثنان للمتكلِّم: أكرمتُ أكرمنَا. وخمسةٌ للمخاطَبِ: أكرَمْتَ أكرَمْتِ أكرَمْتُما أكرَمْتُم أكرَمْتُنَّ. وخمسةٌ للغائبِ: أكرَمَ أكرَمَت أكرَمَا أكرَمُوا أكرَمْنَ»[1]. أهـ من الأزهرية.

(باب)

«الفاعلُ مرفوعٌ كـ: قامَ زيدٌ، وماتَ عمرٌو، ولا يتأخرُ عاملُه عنه، ولا يلحقُه علامةُ تثنيةٍ ولا جمعٍ، بل يقالُ: قامَ رجلان ورجالٌ ونساءٌ، كما يقالُ: قام رجلٌ. وشذَّ: (يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليلِ)، (أومُخْرِجيَّ هم). وتلحقُه علامةُ تأنيثٍ إن كانَ مؤنثًا، كقامت هندُ، وطلعتِ الشمسُ. ويجوزُ الوجهانِ في مجازيِّ التَّأنيثِ الظاهرِ ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وفي الحقيقيِّ

(١) شرح الأزهرية، ص ٢١، ٢٢.

المنفصلِ، نحو: حضرتِ القاضي امرأةٌ، والمنفصلِ في باب (نعم وبئس)، نحو: نعمتِ المرأةُ هندُ، ونحو: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ [الحجرات: ١٤]، إلا جمعَي التَّصحيحِ فكمفرديهما، نحو: قامَ الزيدون، وقامت الهنداتُ، وإنما امتنع في النَّثرِ: ما قامتْ إلَّا هندُ؛ لأنَّ الفاعلَ مذكرٌ محذوفٌ كحذفِه في نحوِ: ﴿إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ⑭ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤-١٥]، ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [يوسف: ٤١]، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨]، ويمتنعُ في غيرهن، والأصلُ أن يلي عاملَه. وقد يتأخرُ جوازًا نحوَ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ٤١]، وكما أتى ربَّه موسى على قدرٍ، ووجوبًا نحو: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ [البقرة: ١٢٤]، و«ضربني زيدٌ». وقد يجبُ تأخيرُ المفعولِ كـ«ضربت زيدًا»، و«ما أحسنَ زيدًا» و«ضرب موسى عيسى»، بخلافِ «أرضعَتِ الصغرى الكبرى».

وقد يَتَقَدَّمُ على العاملِ جوازًا، نحو: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ [الأعراف: ٣٠]، ووجوبًا نحو: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وإذا كانَ الفعلُ (نعم وبئس)، فالفاعلُ إما معرَّفٌ بألِ الجنسيَّةِ، نحو: ﴿نِعْمَ

ﵟٱلۡعَبۡدُﵞ[سورة ص: ٣٠]، أو مضافٌ لما هي فيه، نحو: ﵟوَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَﵞ[النحل: ٣٠]، أو ضميرٌ مستترٌ مفسرٌ بتمييزٍ مطابقٍ للمخصصِ، نحو ﵟبِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗاﵞ[الكهف: ٥٠]» أهـ من القطر[1].

(١) متن قطر الندى وبل الصدى، ص ١٣، ١٤.

الفاعل:

«الْفَاعِلُ الَّذِي كَمَرْفُوعَيْ (أَتَى ... زَيْدٌ مُنِيرًا وَجْهُهُ، نِعْمَ الْفَتَى)

وَبَعْدَ فِعْلٍ فَاعِلٌ فَإِنْ ظَهَرْ ... فَهْوَ وَإِلَّا فَضَمِيرٌ اسْتَتَرْ

وَجَرِّدِ الْفِعْلَ إِذَا مَا أُسْنِدَا ... لِاثْنَيْنِ أَوْ جَمْعٍ كَـ (فَازَ الشُّهَدَا)

وَقَدْ يُقَالُ: (سَعِدَا وَسَعِدُوا) ... وَالْفِعْلُ لِلظَّاهِرِ بَعْدُ مُسْنَدُ

وَيَرْفَعُ الْفَاعِلَ فِعْلٌ أَضْمِرَا ... كَمِثْلِ (زَيْدٌ) فِي جَوَابِ (مَنْ قَرَا)

وَتَاءُ تَأْنِيثٍ تَلِي الْمَاضِي إِذَا ... كَانَ لأنثَى كَـ (أَبَتْ هِنْدُ الأَذَى)

وَإِنَّمَا تَلْزَمُ فِعْلَ مُضْمَرِ ... مُتَّصِلٍ أَوْ مُفْهِمٍ ذَاتَ حِرِ

وَقَدْ يُبِيحُ الْفَصْلُ تَرْكَ التَّاءِ فِي ... نَحْوِ (أَتَى الْقَاضِيَ بِنْتُ الْوَاقِفِ)

وَالْحَذْفُ مَعْ فَصْلٍ بِـ (إِلَّا) فُضِّلَا ... كَـ (مَا زَكَا إِلاَّ فَتَاةُ ابْنِ الْعَلَا)

وَالْحَذْفُ قَدْ يَأْتِي بِلَا فَصْلٍ وَمَعْ ... ضَمِيرِ ذِي الْمَجَازِ فِي شِعْرٍ وَقَعْ

وَالتَّاءُ مَعْ جَمْعٍ سِوَى السَّالِمِ مِنْ ... مُذَكَّرٍ كَالتَّاءِ مَعْ إِحْدَى اللَّبِنْ

وَالْحَذْفَ فِي (نِعْمَ الْفَتَاةُ) اسْتَحْسَنُوا ... لأَنَّ قَصْدَ الْجِنْسِ فِيهِ بَيِّنُ

وَالأَصْلُ فِي الْفَاعِلِ أَنْ يَتَّصِلاَ وَالأَصْلُ فِي الْمَفْعُولِ أَنْ يَنْفَصِلاَ

وَقَدْ يُجَاءُ بِخِلافِ الأَصْلِ وَقَدْ يَجِي الْمَفْعُولُ قَبْلَ الْفِعْلِ

وَأَخِّرِ الْمَفْعُولَ إِنْ لَبْسٌ حُذِرْ أَوْ أُضْمِرَ الْفَاعِلُ غَيْرَ مُنْحَصِرْ

وَمَا بِـ (إِلَّا) أَوْ بِـ (إِنَّمَا) انْحَصَرْ أَخِّرْ وَقَدْ يَسْبِقُ إِنْ قَصْدٌ ظَهَرْ

وَشَاعَ نَحْوُ (خَافَ رَبَّهُ عُمَرْ) وَشَذَّ نَحْوُ (زَانَ نَوْرُهُ الشَّجَرْ)

أهـ من الألفية(١).

قد اكتفينا بهذا القدرِ لضيقِ الوقتِ، ولعلَّ ذلك يكونُ كافيًا في إيضاحِ ما قصدنا إليه من بيانِ التَّدرُّج المطلوبِ؛ حيثُ يُرى الفرقُ واضحًا بين هذه الأمثلةِ الأربعةِ التي ذكرناها من أربعةِ كتبٍ من المتونِ التي وضعت في المنهاجِ على هذا التَّرتيبِ.

---

(١) ألفية ابن مالك، ص ٢٥.

٢ـ أثرُ دراستِها في نفوسِهم، وأثرُ استظهارِها في عقولِهم

هذا الموضوعُ رُبَّمَا يكونُ أهمَّ الموضوعاتِ من بحثِنا هذا، وكنا نودُّ أن نُوَفَّقَ إلى أقصى حدٍّ ممكنٍ، ولكنَّ الظروفَ لم تواتنا.

جرتِ العادةُ في التَّعليمِ الأزهريِّ أنَّ الطلبةَ يعمدون إلى استظهارِ مادةِ المتنِ قبلَ دراستِها، وقبلَ تلقنِها بصرفِ النَّظرِ عن كونِ ذلك من مقاصدِ الواضعين لهذه المتونِ، ثم يتفهمون موضوعَ الدَّرسَ الذي سيلقنونه عن الأستاذِ يوميًّا قبلَ أن يجلسوا أمامَه، فيحاولون فَهْمَه بكلِّ أنواعِ الوسائلِ التي لديهم، ويَكُدُّونَ أذهانَهم، ويُعْمِلُونَ عقولَهم، فَيُعَوِّدُهم هذا صبرًا على البحثِ وجلدًا في استكشافِ الحقائقِ من أوَّلِ عهدِهم بالتَّعليمِ، ويكسبُهم هذا صفةً خاصَّةً ربَّما لا تكونُ لغيرِهم ممن تربوا في أوساطٍ لا تشاكلُ وسطَهم، وأظنُّ أنَّ هذا معلومٌ يقولُ به كلُّ منصفٍ.

وأدلُّ دليلٍ على ذلك أنَّ أساطين المفكِّرين، وأساتذةَ التَّربيةِ، وفحولَ الأدباءِ، وأعلامَ الهدى نجدُ كلَّ هؤلاء ممن تربوا تربيةً أزهريَّةً، وكسبوا هذه الميزةَ المُهِمَّةَ، وبعد ذلك كملوا ما ينقصُهم

من جهةِ التَّربيةِ الحديثةِ ودراسةِ الأفكارِ الجديدةِ، أصبحوا وقد تكاملت فيهم الميزتان، وجمعوا بين التَّربيتين الأزهريَّةِ والثقافةِ الحديثةِ، أصبحوا بعد ذلك قادةَ الفكرِ في التَّربيةِ والأدبِ والسِّياسةِ، ومن الإنصافِ ألّا نغمطَ حقَّ من نبغوا نبوغًا كاملًا ولم يكنْ لهم حظٌّ من التَّربيةِ الأزهريَّةِ، وليس من غرضِ بحثِنا هذا أن نتعرضَ لهؤلاء وأولئك، ونعقدَ بينهم موازنةً، بل أردنا أن نشيرَ إلى أثرِ هذه التَّربيةِ الأزهريَّةِ الناتجةِ عن دراسةِ هذه المتونِ التي نحن بصددِ الحديثِ عن أثرِ دراستِها في النفوسِ.

أما أثرُ استظهارِها في عقولِهم فإنَّه لو لم يكنْ سوى تربيةِ الملكةِ لكفى؛ ذلك أنَّ الطالبَ يراجعُ هذه المتونَ كُلَّما احتاجَ إليها في مراحلِ التَّعليمِ جميعِها، وكُلَّما عرضتْ له مسألةٌ علميَّةٌ في أيِّ ناحيةٍ من النواحي، وفي أيِّ موقفٍ من المواقفِ، وما الملكةُ إلا مراجعةُ الذاكرةِ لهذه المتونِ عند كُلِّ فرصةٍ حتى تصبحَ مسائلُ العلمِ عاديَّةً بدهيَّةً.

«الخاتمةُ»

تنتظمُ ما يأتي:

١- مناقشةَ بعضِ المؤلفين في ملاحظاتٍ تتعلقُ بآرائِهم في هذه المتونِ.

٢- كلمةً إجماليةً عن التَّعليمِ الحديثِ وقيمتِه.

١- إنَّ بعضَ المؤلفين الذين عرضوا لموضوعِ المتونِ العلميَّةِ في كتبِهم، وتناولوه بالبحثِ رُبَّمَا لا نكونُ مغالين لو وصفناهم بعدمِ الإنصافِ؛ لأنَّهم لم يتناولوه إلا من ناحيةٍ واحدةٍ، وهي ذكرُ مثالبِها مبالغين في ذلك إلى درجةِ سقوطِها عن الاعتبارِ، ولم يعطوا البحثَ حقَّه، فإنَّ من واجبِ من يتعرضُ لموضوعٍ ما بالنقدِ أن يجردَ نفسَه عن كلِّ الاعتباراتِ، وألا يتأثَرَ بفكرةٍ اختمرتْ في نفسِه، ولا لظاهرةٍ بدتْ له جليًّا حتى سدلت الستار على الأمورِ التي يجبُ أن يلاحظَها كلُّ ناقدِ أمرًا، وذلك من حيثُ ذكرُ المثالبِ والمحاسنِ، ثم ترجيحُ ما يراه راجحًا؛ ولذلك رأينا أن نناقشَ

هؤلاء المؤلفين فيما ذهبوا إليه من الآراءِ مناقشةً هادئةً؛ كي نتبينَ الحقَّ من خلالِها، وذلك بقدرِ ما نُوَفَّقُ عصمنا اللهُ تعالى من زللِ القولِ والعملِ.

من هؤلاء ابنُ خلدون[1] في مقدمتِهِ، وصاحبُ كتابِ الفكر السَّامي في تاريخِ الفقهِ الإسلامي[2]، وهو من أفذاذِ علماءِ هذا العصرِ ببلادِ المغربِ، وكتابُه هذا أحسنُ ما كُتِبَ في موضوعِ تاريخِ

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشؤه بتونس. ولد سنة ٧٣٢هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ، كان فصيحًا، جميل الصورة، عاقلا، صادق اللهجة، عزوفًا عن الضيم، طامحًا للمراتب العالية. اشتهر بكتابه: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، أولها: المقدمة؛ وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها.

(٢) هو محمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفلالي، من رجال العلم والحكم في المغرب. ولد سنة ١٢٩١هـ، وتوفي سنة ١٣٧٦هـ. من كتبه: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، وثلاث رسائل في الدين، والمحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم الفتيات في الديار المغربية، والتعاضد المتين بين العقل والعلم والدين.

التَّشريعِ الإسلاميِّ إلى يومِنا هذا على ما أعلمُ، ويوجدُ نسخٌ معدودةٌ منه بدارِ الكتبِ المصريَّةِ.

أما ابنُ خلدون، فإنَّه عقدَ فصلًا في مقدمتِهِ بالعنوانِ الآتي: «فصلٌ في أنَّ كثرةَ الاختصاراتِ المؤلفةِ في العلومِ مُخِلَّةٌ بالتَّعليمِ».

وهذا نصُّ عبارتِهِ بعدَ حذفِ ألفاظٍ مكررةٍ: «ذهبَ كثيرٌ من المتأخرين إلى اختصارِ الطرقِ في العلومِ يولعون بها، ويدونون منها برنامجًا مختصرًا في كلِّ علمٍ يشتملُ على حصرِ مسائلِه وأدلتِها باختصارٍ في الألفاظِ، وحشوِ القليلِ منها بالمعاني الكثيرةِ من ذلك الفنِّ، وصارَ ذلك مخلًّا بالبلاغةِ، وعسيرًا على الفهمِ، وربما عمدوا إلى الكتبِ الأمهاتِ المطولةِ في الفنونِ للتفسيرِ والبيانِ فاختصروها تقريبًا للحفظِ، كما فعله ابنُ الحاجبِ في الفقهِ، وأصولِ الفقهِ، وابنُ مالكٍ في العربيَّةِ إلى أن قالَ: وهو فسادٌ في التَّعليمِ، وفيه إخلالٌ بالتَّحصيلِ؛ وذلك لأنَّ فيه تخليطًا على المبتدئ بإلقاءِ الغاياتِ من العلمِ عليه، وهو لم يستعدَّ لقبولِها بعدُ، وهو من سوءِ التَّعليمِ كما سيأتي، ثم فيه مع ذلك شغلٌ كبيرٌ على

المتعلِّمِ بتتبعِ ألفاظِ الاختصارِ العويصةِ للفهمِ بتزاحُمِ المعاني عليها، وصعوبةِ استخراجِ المسائلِ من بينها.

لأنَّ ألفاظَ المختصراتِ تجدُها لأجلِ ذلك صعبةً عويصةً فينقطعُ في فهمِها حظٌّ صالحٌ من الوقتِ، ثم بعد ذلك فالملكةُ الحاصلةُ من التَّعليمِ في تلك المختصراتِ إذا تمَّ على سدادِه، ولم تعقبْه آفةٌ فهي ملكةٌ قاصرةٌ عن الملكاتِ التي تحصلُ من الموضوعاتِ البسيطةِ المطولةِ بكثرةِ ما يقعُ في تلك من التَّكرارِ والإحالةِ المقيدين لحصولِ الملكةِ التَّامَّةِ، وإذا اقتصرَ على التَّكرارِ قُصرتِ الملكةُ لقلتِهِ، كشأنِ هذه الموضوعاتِ المختصرةِ، فقصدوا إلى تسهيلِ الحفظِ على المتعلمين فأركبوهم صعبًا بقطعِهم عن تحصيلِ الملكاتِ النافعةِ وتمكُّنِها»(١).

فعبارتُه: وصارَ مخلًّا بالبلاغةِ وعسرًا على الفهمِ ليستْ على عمومِها كما يراها؛ لأنَّ بعضَ المختصراتِ نجدُها متوافرةً فيها البلاغةُ وسهولةُ الحفظِ، وقد ذكرنا أمثلةً منها فيما سبقَ، وبعضُها

(١) طبعة: عبد الرحمن محمد، ص ٤٩٠.

انتهى إلى حدِّ الاختصارِ المخلِّ، فلا داعي لجعلِها كتبَ دراسةٍ واستفادةٍ يُصْرَفُ الزَّمنُ الكثيرُ فيها دونَ فائدةٍ تعودُ على المتعلمين، والنَّاسُ بعقولِهم، والمتعلِّم دائمًا يجبُ أن يكونَ له مرشدٌ صالحٌ يتولى تربيتَه، ويوجهه التَّوجيهَ النَّافعَ له، ويختارُ له ما يلائمُ حالَه من هذه المختصراتِ، وما يسهلُ عليه فهمُه منها، وهذا ما كانَ من الأساتذةِ أيامَ أن كانَ التَّعليمُ حرًّا لا يخضعُ لنظامٍ خاصٍّ، ولا تشرفُ عليه جماعةٌ ذاتُ سلطةٍ تنظمُه، وبالأحرى إذا ما أصبحَ ذا نظامٍ خاصٍّ يهيمنُ عليه رجالٌ مشرفون على تنظيمِه وإصلاحِه؛ بحيثُ يكونُ نافعًا ومجديًا، ثم قولُه: وربما عمدوا إلى الكتبِ الأمهاتِ المطولةِ فاختصروها، إلخ أن قالَ: وهو فسادٌ في التَّعليمِ، وفيه إخلالٌ بالتَّحصيلِ معللًا ذلك بما يأتي:

<u>أولًا</u>: بأنَّ فيه تخليطًا على المبتدئ بإلقاءِ الغاياتِ من العلمِ عليه، وهو لم يستعدَّ لقبولِها بعدُ.

هذا الذي ذكرَه لا نجدُ له أثرًا الآن، ورُبَّمَا كانَ الحالُ على ذلك أيامَه، أما المعهودُ في سبيلِ التَّعليمِ أن يسلكَ بالناشئِ التَّدرُّج

في تلقي العلومِ بتقديمِ شيءٍ له يلائمُ حالَه من مسائلِ الفنِّ على وجهِ الإجمالِ، ثم التَّرقي معه حتى يكملَ مسايرَ التَّطوُّرِ عقلُه ونُمُوُّ إدراكِه، وهذا ما نراه في معاهدِ التَّعليمِ الآن، وعلى ما أظنُّ كان يسيرُ على هذا النحو من قبلِ ذلك؛ لأنَّ الواجبَ حسنُ الظنِّ بمن قاموا بالتَّربيةِ، ويدلُّ على ذلك كيفيَّةُ وضعِ هذه المختصراتِ التي تركوها لنا.

ثانيًا: بقولِه: (ثم فيه مع ذلك شغلٌ كبيرٌ على المتعلِّمِ بتتبعِ ألفاظِ الاختصارِ العويصةِ للفهمِ بتزاحُمِ المعاني عليها، وصعوبةِ استخراجِ المسائلِ من بينها. إلخ أن قالَ: فينقطعُ في فهمِها حظٌّ صالحٌ من الوقتِ).

هذا أمرٌ نسبيٌّ يَعْظُمُ قدرُه إذا ما كانَ الاختصارُ مخلًّا بِحَيْثُ يكونُ رمزًا من الرموزِ التي تحتاجُ إلى علاجٍ وحلٍّ، أما لو كانَ الاختصارُ لغايةِ التَّدرُّجِ كما بيناه بأمثلةٍ من هذه المختصراتِ فلا يكونُ سببًا لضياعِ الوقتِ، بل بالعكسِ هو توفيرٌ للزمنِ واستغلالٌ صالحٌ له.

ثالثًا: بقولِه: (ثم بعد ذلك فالملكةُ الحاصلةُ من التَّعليمِ في تلك المختصراتِ إذا تمَّ على سدادِه، ولم تعقبْه آفةٌ فهي ملكةٌ قاصرةٌ عن الملكاتِ التي تحصلُ من الموضوعاتِ البسيطةِ المطولةِ بكثرةِ ما يقعُ في تلك من التَّكرارِ والإحالةِ المقيدين لحصولِ الملكةِ التَّامَّةِ)

هذا جميلٌ ومُسَلَّمٌ به، ولكن من أين لنا أن نحقِّقَ تحصيلَ تلك الملكةِ التَّامَّةِ من دراسةِ هذه الموضوعاتِ المطولةِ، وقد بينا نحن فيما سبقَ أنَّ من الدواعي لوضعِ هذه المختصراتِ قصورَ الهممِ عن دراسةِ المطولاتِ، ثم ذكرنا أيضًا أنَّ القاعدةَ النَّفسيَّةَ التي يبني عليها علماءُ التَّربيةِ الأسسَ المُهِمَّةَ للتربيةِ تأبى علينا دراسةَ المطولاتِ للناشئِ من أوَّلِ عهدِه، وعلى ذلك لا يمكنُ تحقيقُ ما يُرمى إليه من حصولِ الملكةِ التَّامَّةِ عن طريقِ دراسةِ الموضوعاتِ البسيطةِ المطولةِ، ولا يقالُ: إنَّ ابنَ خلدون ليس في ذهنِهِ مسألةُ المتونِ، ولكنَّه يريدُ المختصراتِ في جملتِها، لأنَّ الأمثلةَ التي ذكرها ترينا أنَّه يقصدُ المتونَ في صميمِها سواءً أكانت مختصرةً من

أمهاتِ الكتبِ المطولةِ أم وُضِعَتْ باديءَ ذي بدءٍ، وبحثُنا شاملٌ للنوعين معًا.

هذا ما رأينا من النقاشِ مع هذا الفيلسوفِ الكبيرِ، والعالمِ المربي العظيمِ، وما أردنا إلا عرضَ ما ظهرَ لنا من الرأي، فإن كُتِبَ لنا التَّوفيقُ فذاك، وإلّا فما على المحسنين من سبيلٍ، فشفيعُنا حسنُ الظنِّ، أما صاحبُ كتابِ الفكرِ السَّامي فقد سلكَ سبيلَ غيرِه في أنَّه عابَ على هذه المختصراتِ كثيرًا غيرَ أنه رجعَ وقررَ في الوقتَ نفسِه أنَّه لا غنَى عنها، ولنا أن نذكرَ لك شيئًا من كلامِهِ يبين رأيَه، ونذكرَ من كلامِه أيضًا ما يصحُّ أن يكونَ ردًّا عليه تاركين الحكمَ للقارئِ.

قالَ في كتابِه هذا: «ومن المقاصدِ التي بُنيتْ عليها فكرةُ وضعِ المختصراتِ تقليلُ الألفاظِ تيسيرًا للحفظِ على مريدِ الحفظِ، وجمعُ ما هو مفرقٌ في بطونِ الكتبِ المطولةِ من المسائلِ المطولةِ، وتركُ غيرِها، ولكنَّ الإغراقَ في الاختصارِ والمبالغةَ فيه إلى حدِّ الإفراطِ أحيانًا كما وقعَ من البعضِ يعكسُ إلى النَّقيضِ لهذه

المقاصدِ؛ إذ تحتاجُ المتونُ التي بالغَ مؤلفوها إلى هذا الحدِّ إلى شروحٍ تشرحُ ما استغلقَ من ألفاظِها، وتوضِّح ما عَسُرَ على الفهمِ من معانيها، بل تحتاجُ إلى شروحٍ وحواشٍ، فيفوتُ المقصودُ الذي وقعَ لأجلِه الاختصارُ، وهو جمعُ الأسفارِ في سفرٍ واحدٍ، وتقريبُ المسافةِ، وتخفيفُ المشاقِّ، وتكثيرُ العلمِ، وتقليلُ الزَّمنِ، فتجدُ أنَّ الأمرَ ينقلبُ إلى العكسِ؛ إذ تكثرُ المشاقُّ في فتحِ الإغلاقِ، ويضيعُ الزَّمنِ من غيرِ ثمنٍ، فيقعُ هؤلاء فيما فرُّوا منه، ويحسنُ أن نوردَ هنا على سبيلِ المثالِ ما وقعَ من ابنِ عرفةَ من الإفراطِ، فإنَّه عرَّفَ الإجارةَ في مختصرِه الذي وضعَه في الفقهِ بأنَّها: بيعُ منفعةِ ما أمكنَ نقلُه غيرُ سفينةٍ ولا حيوانٍ ولا يعقلُ بعوضٍ غيرِ ناشئٍ عنها بعضُه يتبعضُ بتبعيضِها، فأوردَ عليه بعضُ تلاميذِه أنَّ زيادةَ لفظِ بعضِه تنافي الاختصارَ، فما وجهه؟ فتوقفَ يومين وهو يتضرعُ إلى اللهِ في فهمِها، وأجابَ في اليومِ الثَّالثِ بأنَّه لو أسقطَها لخرجَ النِّكاحُ المجعولُ صداقُه منفعةَ ما أمكنَ نقلُه، وناقشَه بعضُ تلاميذِه، وغيرُه بما يطولُ جلبه» أهـ ثم قالَ عقبَ ذلك: «فمن تأملَ

في هذه العبارةِ يجدُ أنَّ الشيخَ وتلاميذَه شغلوا أنفسَهم زمنًا كبيرًا في حلِّ هذه المشكلةِ التي وقعت في التَّعريفِ بسببِ زيادةِ لفظٍ واحدٍ لا أهميةَ له في أصلِ الكلامِ، بل اشتغلَ غيرُهم أيضًا أيامًا كذلك، وذلك مضيعةٌ للزمنِ من غيرِ ما فائدةٍ»[1].

يظهرُ لنا من المثالِ نفسِه ومن تعليقِه عليه بقولِه: فمن تأملَ إلخ أنَّ الضررَ الذي يدعيه لم يترتبْ على الاختصارِ، بل كانَ عن كلمةٍ رآها بعضُ التَّلاميذِ حشوًا في الكلام لا مَعْنَى لها، وتوقفَ الشيخُ عن أن يحقِّقَ لها معنى في كلامِه، وكُلُّنا نعلمُ أنَّ الحشوَ في الكلامِ مما تأباه البلاغةُ قبلَ كلِّ شيءٍ كما أنَّ مصلحةَ العلمِ والتَّعليمِ تأبى ذلك، ثم إنَّ الشيخَ نفسَه نجدُه يقررُ بنفسِه أنَّه لا محيصَ عن هذه المختصراتِ للمقلدين مثلًا في فنِّ الفقهِ، جاءَ نصُّ هذه العبارةِ الآتيةِ عنه بعدَ كلامٍ طويلٍ سردَه مضمنًا إياه عيوبًا كثيرةً لهذه المتونِ، ممثلًا لها بمتنِ خليلٍ المعروفِ لدى المالكيةِ بالمختصرِ، قالَ: وإني لا أنقصُ من قيمتِه «أي المختصر» ولا أقولُ

---

(١) الفكر السَّامي، ص ٢٢٢.

بتركِهِ للمالكيةِ المقلدين؛ لأنَّه ديوانٌ؛ وأيُّ ديوانٍ من دواوين المالكيةِ العظامِ للفتاوى والأحكامِ، وقد أشارَ مؤلفُه في أوَّلِه: أنَّه ألفه للفتوى لا للدروسِ؛ حيثُ قالَ مختصرًا مبينًا لما به الفتوى: فلا يستغنى عنه، ولا يتركُ، بل يُدْرَسُ ويُمْرَنُ عليه المنتهون ليستعينوا به في الفتوى والقضاءِ للحاجةِ الداعيةِ إليه لجمعِه كثيرًا من المسائلِ ما يندرُ أن يوجدَ في غيرِه، فرُبَّما تقعُ المسألةُ، ولا توجدُ إلا فيه مع تحريرِه وإتقانِه وتبيينِه للمشهورِ المعتمدِ من القولين أو الأقوالِ، أما المبتدئون والمتوسطون فما أحوجَهم للرسالةِ القيروانيةِ، وأمثالِها إلخ ما جاءَ في كلامِهِ.

يكفينا بعد هذا أن نكِلَ إلى القارئِ الحكمَ مع الإشارةِ إلى أنَّ هذا المختصرَ إنَّما يُدَرَّسُ للمنتهين من الطلبةِ؛ كي يمرنوا عليه، ويستعينوا به في الفتوى والقضاءِ، فهو يُدَرَّسُ لطلبةِ كليةِ الشريعةِ وطلبةِ تخصصِ المادةِ الذين يتخصصون في مادةِ الفقهِ، فما وجهُ تمثيلِ الشيخِ به للمختصراتِ التي عابَها؟

أما المبتدئون فيُدَرَّسُ لهم الرسالةُ القيروانيةُ التي أشارَ إليها كما أن المتوسطين يُدَرَّسُ لهم متنٌ للدرديرِ مناسبٌ لحالِهم، وهذا ما يقتضيه التَّدرُّجُ في التَّعليمِ كما ترشدُ إليه قواعدُ التَّربيةِ، وربَّما كنا في غنًى عن مناقشتِه؛ حيثُ إنَّه خصَّ كلامَه بالمختصراتِ التي بالغَ مؤلفوها في الاختصارِ إلى حدِّ الإخلالِ، لولا أنَّه تَعَرَّضَ للمتونِ التي تُدَرَّسُ فعابَها أولًا، ثم رجعَ وقررَ أنَّه لا غنى عنها فاضطررنا لمناقشتِه.

٢ـ كلمةٌ مختصرةٌ عن التَّعليمِ الحديثِ وقيمتِه

أظنني قد بينتُ في شيءٍ من الوضوحِ مقدارَ صلاحيةِ المتون العلميَّةِ ككتبِ دراسةٍ واستفادةٍ، ومقدارَ أثرِها في التَّربيةِ، وما ينتجُ عن دراستِها بقدرِ ما وفقت، وبالمقدارِ الذي استطعتُ من البحثِ والتَّنقيبِ معززًا رأيي بالتَّجاربِ والمشاهدةِ والاستنباطِ من الأمثلةِ التي ذكرتُها أثناءَ البحثِ.

ويحسنُ بنا أن نجعلَ غايةَ الخاتمةِ لبحثِنا هذا كلمةً مجملةً عن التَّعليمِ الحديثِ الذي لا يَتَقَيَّدُ بمثلِ هذه المتونِ.

إنَّ التَّعليمَ الحديثَ أثرُه ظاهرٌ ملموسٌ، وقيمتُه العظيمةُ لا تخفى على أحدٍ؛ وذلك لأنَّ بنيانَه قد شُيِّدَ على قواعدَ وأسسٍ استنبطَها رجالُ التَّربيةِ في القرونِ المتتاليةِ بعدَ أن انبثقَ فجرُ العلمِ، وامتدَّ شعاعُ نورِه في الأفقِ، من تجارِبِهم المتكررةِ التي تفانوا في التَّثبُّتِ والتَّحقُّق من صحتِها، ومن مشاهدتِهم الكثيرةِ التي محصوها؛ لذلك كانتْ تلك الأسسُ مما لا يقبلُ النقضَ بحالٍ شأنَ كلِّ أمرٍ مبني على التَّجاربِ المحسوسةِ، واتفقت كلمةُ المربين جميعًا عليها، مهما كانتْ وجهةُ نظرِهم مختلفةً، ونزعاتُهم ومشاربُهم متباينةً، واعْتُبِرَتْ نبراسًا يهتدي به كلُّ من أرادَ أن يقومَ بتربيةٍ صحيحةٍ لها قيمتُها وثمرتُها في الحياةِ.

ومما يُحَتِّمُ علينا نظمُ ذلك التَّعليمِ ما يأتي:

(١) استغلالُ ميولِ الطفلِ وغرائزِه في إيصالِ الحقائقِ العلميَّةِ إلى نفسِه؛ ولذلك كانتِ العنايةُ بدراسةِ غرائزِه ومواهبِه التي خلقتْ معه من ألزمِ واجباتِ المربي.

(٢) اعتبارُ الملاحظةِ والمشاهدةِ أساسًا للتَّعليمِ.

(٣) استعمالُ وسائلِ التَّشويقِ المختلفةِ التي تُحبِّبُ التَّعليمَ إلى النَّفسِ، وتدفعُ عن المتعلِّمِ السَّآمةَ والمللَ.

ثم إنَّ المربين يشترطون في الكتبِ المدرسيَّةِ أن تتوافرَ فيها أمورٌ كثيرةٌ لاعتمادِ التِّلميذِ في التَّحصيلِ عليها، وإليك بعضَ تلك الأمورِ:

(١) سهولةُ اللُّغةِ، ومناسبتُها للطلبةِ الذين توضعُ لهم.

(٢) التَّحري في عباراتِه الإحكامَ والضبطَ، وأن يكونَ أسلوبُه مما يساعدُ على رقيِّ أسلوبِ الطلبةِ في الكتابةِ.

(٣) أن يكونَ الطبعُ متقنًا، والحروفُ كبيرةً، والورقُ جيدًا، وأن يُجلدَ تجليدًا متينًا.

(٤) أن تكونَ وسائلُ الإيضاحِ من الصورِ وغيرِها واضحةً جليَّةً وافيةً بالغرضِ المقصودِ منها.

ويجدرُ بالواضعِ أن يكونَ مدرسًا عمليًّا، كثيرَ التَّجاربِ، قد مهرَ في فنِّ التَّدريسِ، وألمَّ بطبائعِ الأطفالِ، واستعداداتِهم الفطريَّةِ،

وقواهم العقليَّةِ في المراحلِ المختلفةِ، وأن يكونَ جامعًا إلى ذلك الإلمامَ بالمادةِ والإحاطةَ بدقائقِها وأطرافِها، حتى يكونَ كتابُه خيرَ كتابٍ، وإن لم يتيسر له أن يكونَ عالمًا بالمادةِ استعانَ بالمؤلفاتِ المختلفةِ بشرطِ أن تكونَ من الموثوقِ بها، والإلمامُ بالمادةِ وحدَها غيرُ كافٍ في وضعِ كتابٍ مدرسيٍّ[1].

هذا ونحن نرى من الواجبِ أن تتوافرَ الكتبُ الصالحةُ الجامعةُ للشروطِ التي يشترطُها المربون للطلبةِ، ولا يمنعُنا أن نقررَ هذه الحقيقةَ ما قدَّمناه في بحثِنا هذا من صلاحيةِ المتونِ العلميَّةِ أن تكونَ كتبَ دراسةٍ واستفادةٍ؛ حيث لا تنافي بين الصالحِ واختيارِ الأصلحِ، ومن الواجبِ أن يلاحظَ لكلِّ زمانٍ ما يناسبُه، وأن يُلبسَ لكلِّ عصرٍ لبوسُه، كما أن من المسلَّمِ به بداهةً أن لو وضعَ لنا رجالٌ ذوو كفايةٍ ودربةٍ تتوافرُ فيهم الشروطُ التي سبقَ ذكرُها كتبًا للدراسةِ ملائمةً لعقليةِ وبيئةِ من تُدَرَّسُ لهم هذه المتونُ، لو كانَ

(١) كتاب التربية، للأستاذ/ عبده خير الدين، ص ١٧٦.

هذا لأغنانا عنها، ولوجبَ علينا أن نقررَ دراستَها بدلًا عن دراسةِ هذه المتونِ.

أمَّا نتيجةُ البحثِ فقد تبيَّنَ رأينا جليًّا من خلالِ البحثِ، وهو صلاحيةُ هذه المتونِ للدراسةِ وملاءمتُها لحالِ من تُدَرَّسُ لهم؛ فلذلك لا أرى داعيًا لتكريرِه وتخصيصِه بعنوانٍ مستقلٍّ مكتفيًا بذلك.

إلى هنا انتهى ما أردتُ من البحثِ، وأرجو أن أكونَ قد وفقتُ بحولِ اللهِ وقوتِه إلى الصوابِ فيما ذهبتُ إليه، وهو حسبي ونعم الوكيلُ، والحمدُ للهِ أولًا وآخرًا، إنَّه نعم المولى ونعم النَّصيرُ.

١٨ من ربيع الأول ١٣٥٦هـ

٢٦ من مايو ١٩٣٧م

وكتبه الفقيرُ إليه تعالى

عبد الرحمن محمد صالح

مراجع المؤلف

المتون العلميَّة المختلفة

الفكر السَّامي في تاريخ الفقه الإسلامي للأستاذ سيدي محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي مدرس العلوم العالية بالقرويين بفاس

مقدمة ابن خلدون

وبعض مذكرات في التَّربية لبعض المربين الأفاضل

وكتاب أصول التَّربية والتَّعليم للأستاذ أحمد عبده خير الدين

كتاب أصول التَّدريس وطرائقه للمربِّيين الفاضلين الأستاذ محمد علي مصطفى والأستاذ منصور سليمان

فهرس البحث

الموضوعات الصفحة

الفصل الثَّالث

أثر المتون في التَّربية

الخاتمة

AlAmiria
المطابع الأميرية